تاريخ

الحرب البلقانية

تأليف

نسيب محمود شهاب اللبناني

ثمن النسخة بشلكان

المطبعة الادبية بيروت سنة ١٩١٣

مُقَدِّمَة

حمداً لمن دحا الارض طباقاً، وجعل لها من الاثير المحدود رواقاً، حمداً تردد صداه افئدتنا في الاصال والاسحار، وشكراً تقدمهُ قلوبنا عَلَى مذبح الكريم الغفار، اناء الليل واطراف النهار •

اما بعد فلما كان التاريخ بصيرة معرفة الانسان، في حالك الظلام، وقطع بحار الغابر، في مركبات الحاضر، وعين النظر، بنتائج حوادث الحال، ونظارة تشاهد الغد من نوافذ الاستقبال، وعبرة يحلها منزلة القلب من الصدر رجال الاصلاح والاعمال، استفزتني الخدمة، دون الاقرار بالعصمة، الى تأليف تاريخ حرب جرى بها الدم سجالاً، ففوضت من العثمانيين مطامع وآمالاً، وانسدل ستار الابهام عَلَى الكبير والصغير، فباتا كانهما ليسا من الامر لا في العير، ولا في النفير، فرأيت كشفاً للاسرار عن الستائر، وللحوادث عما يختلج في السرائر، ان اضع تحت اعين مواطنيَّ كتاب (تاريخ الحرب البلقانية) مع تاريخ دولها واسباب حدوثها وتفاصيل وقائعها، ونتيجة امورها، غير مسود بالرياء لتاريخي وجهاً، او مالىء له بالسفاسف وطاباً • ان سطراً مما يبتسم لهُ وجه الحقيقة، لخير من فصل تتمايل فيهِ ترهات النميقة، وان كلمة مما يدعو اليهِ الانصاف، لانفع من كتاب تبعث اليهِ الاهواء، وتجنبنا فيهِ مبتذل الكلام وسوقيه، وطرحنا فاسد الكلام وعاميه، فجاء نقياً من الكلف، بريئاً من الكلف، قريب الفهم على بعد مراميهِ • كثير الفائدة عَلَى رغم قلة حواشيهِ، ينم عن

المشقة التي عانيناها في جمع مواده من مصـادر اجنبية وعثمانية متعددة وترتيبها وتنسيقها وتبويبها وبسطها ، سداً ثلمة ما تركتهُ الانباء وتناقضت في سرد حقيقتهِ الاهواء . ولنا الشرف ان نعلن للغرب الذي كثيراً ما عير الشرق في بطء سيره ، ان تاريخنا هذا اول كتاب ظهر بعالم الطلوع في هذا الموضوع ، وان جلّ ما نتوخاه من اتعابنا الفائدة المطلوبة والمنفعة المرغوبة

وقد كلفني جماعة من الخلان ، في سوريا ولبنان ، ان اعتني بتأليف كتاب آخر تاريخي جليل المنفعة والفائدة ، فان بلغت من كتابي هذا المأمول من القبول ، فتلك يد عندنا لذوي الفضل ، وجواب لاهل الصداقة والنبل ، والا فحسبنا من العذر بذل الجهد ، ومن التأساء حسن القصد ، فلا اقل للشرقي من سعي بشكر ، واثر بذكر ، والله ولي التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق

نسيب شهاب

الفصل الاول

العثمانية

يمتد معظم المملكة العثمانية الى الجهة الشرقية من سواحل البحر المتوسط ويقع في قارتي اسيا واوروبا

وتقدر مساحة سطحها مع جزيرة سيسام بنحو اربعة ملايين وسبعمائة وستة عشر كيلومتراً مربعاً وبخمسة وعشرين مليوناً وثلثمائة وتسعة وثلاثين الفاً وستمائة وواحد وثلاثين نفساً

يحدها شمالاً البحر الاسود ورومانيا وبلغاريا والسرب والنمسا . وجنوباً . مصر والبحر الاحمر والاوقيانوس الهندي وخليج العجم . وشرقاً روسيا والقوقاز وبلاد فارس . وغرباً البحر الادرياتيكي والجبل الاسود واليونان والبحر المتوسط وطرابلس الغرب ومصر .

المملكة العثمانية هي مملكة دستورية ملكية يرأسها جلالة السلطان محمد رشاد الخامس ويساعده في تدبير شؤون المملكة القوة الاجرائية او الوزارة ويبلغ عدد نظارها ١٢ تحت رئاسة الصدر الاعظم وهم مسؤولون عن كل ما يجري في نظاراتهم . والقوة التشريعية او مجلسا المبعوثان والاعيان

وتقسم ادارة المملكة الى ولاية ومتصرفية وقضاء وناحية ومشيخة صلح .

يشتق اسم المملكة العثمانية من اسم عثمان الاول نجل اورطغرل خان رئيس قبيلة في التركستان . وقد هجر بلاده ودخل مع ثمانمائة خيال في خدمة علاء الدين السلجوقي سلطان قونيه وذلك في اواخر القرن الثالث عشر .

ولما اندرست الدولة السلجوقية تقاسمها الامراء والحكام فكان نصيب عثمان بر الاناضول وما جاوره من الممالك . ثم اخذ عثمان الاول بوسع

رويداً رويداً سلطتهُ في اصقاع اسيا الصغرى حتى بلغ شأواً عظيماً ولقب بالغازي ٠

وتولى بعده سنة ١٣٢٦ ابنهُ اورخان واستولى عَلَى بروسه وجعلها كرسي مملكتهِ ٠ وامتدت فتوحاتهُ حتى بيره وغاليبولي واحدث وجاق الانكشارية وتوفي سنة ١٣٦٠ فخلفهُ عَلَى العرش نجله مراد الاول فاقتدى بابيهِ وفتح مكدونيه وتراقيه وجعل عاصمة ملكه مدينة ادرنه سنة ١٣٦٥ واستولى على بلاد الصرب والبلغار في معركة كوسوفو الشهيرة وتوفي سنة ١٣٨٨ وخلفهُ ابنهُ السلطان بايزيد الاول فضم الى مملكتهِ الفلاخ والبغدان وقسماً من اليونان وولايات بر الاناضول الوسطى وامتد ملكه حتى نهر الفرات وقد استعد لغزو القسطنطينية لكنهُ تركها ليحمي بلاده من هجمات تيمورلنك فانكسر ووقع اسيراً في موقعة انقره سنة ١٤٠٢

وبعد مشاحنات عظيمة بين اولاده خلفهُ سليمان الاول وتوفي سنة ١٤١٠ فاستولى عَلَى الملك من بعده اخوه موسى ولبث حكمهُ ثلاث سنتين فقط وسنة ١٤١٣ خلفهُ اخوه محمد الاول فغزا قسماً من البانيا والبوسنه وتوفي سنة ١٤٢١ فورثهُ السلطان مراد الثاني نجله فاكمل خطة سلفه واستولى نهائياً عَلَى البانيا والبوسنه رغم مقاومة اسكندر بك ويوحنا هنياد الشديدة ومات عام ١٤٥١ فقام بالملك بعده ابنهُ محمد الثاني الملقب بالفاتح فاستولى في ٢٩ ايار سنة ١٤٥٣ على القسطنطينية وجعلها عاصمة للمملكة العثمانية ثم اغار عَلَى اليونان فاخذ دوقية اثينا وبلاد المورة وجزائر نيكربون وطاسوس وساموتراس وسلبوس ومملكة طرابزون والقريم واستعد لمهاجمة ايطاليا فداهمهُ الموت سنة ١٤٨١ وقام بالسلطنة بعده ابنهُ البكر بايزيد الثاني فكانت اوائل ملكه طمأنينة وسلاماً وقد شن الغارة عَلَى مصر فرجع عنها خاسراً فشمر عن ساعد النشاط واستولى عَلَى قسم من بولونيا وتنازل عن الملك لولده سليم الاول سنة ١٥١٣ فاختلف مع مملكة فارس واستولى

عَلَى ديار بكر وكردستان وسوريا ومصر والحجاز واليمن واعلن نفسهُ اميراً لجميع المؤمنين وتوفي سنة ١٥٢٠ فقبض عَلَى زمام الملك ولده سليمان الاول فحسن مملكتهُ حتى بلغت اوج المجد والعظمة ثم غزا رودس وافتتحها واخضع القسم الجنوبي من المجر وترانسيلفانيا وحاصر فينا مدة ورجع عنها دون فائدة وامتدت سطوتهُ الى طرابلس الغرب وتونس والجزائر واتحد مع فرنسوا الاول ملك فرنسا ضد شارلكان وتوفي عام ١٥٦٦ ·

وقام باعباء السلطنة من بعده السلطان سليم الثاني وقد ابتدأ في ايامهِ الانحطاط يظهر في جسم الدولة وعصي الانكشارية وتمردوا وخسر معركة ليبند البحرية ضد اسبانيا والبندقية وكانت تلك المعركة طالع شؤم عَلَى الدولة وتوفي سنة ١٥٧٤ فقام السلطان مراد الثالث مكان ابيهِ وجرى له حروب مع العجم خرج من اغلبها مغلوباً ومات عام ١٥٩٥ وصعد بعد موتهِ عَلَى سرير السلطنة ولده السلطان محمد الثالث فشق في ايامهِ امير الفلاخ عصا الطاعة واتحد مع النمسا وانتصرا مرتين عليهِ الا انهُ هزمهما في آخر ملكه وتوفي سنة ١٦٠٣

فتبوأ كرسي الخلافة ابنهُ السلطان احمد الاول فحارب العجم والمجر وانهزم وخسر الغرامة التي كانت تدفعها له سنوياً واصلح الحرمين وارسل سفراء الى بقية الممالك وتلقى سفراءهم وتوفي سنة ١٦١٨ وخلفهُ اخوه السلطان مصطفى الذي لم يملك سوى سنة واحدة فانزلوه عن العرش وولوا عوضاً عنهُ ابن السلطان احمد الاول عثمان الثاني فاستخلص من الفرس بعض املاك اخذت في ايام اسلافهِ وغزا البولونيين فانكسر اشأم كسرة ومات مقتولاً فخلفهُ السلطان السابق مصطفى سنة ١٦٢١ لكن مدة ملكه لم تكن طويلة اذ هبَّ العجم فاسترجعوا منهُ البصرة وبغداد وثارت عليهِ سوريا ومصر فبايعوا مكانهُ السلطان مراد الرابع ابن السلطان احمد الاول فانهزم امام العجم اولاً وانتصر ثانيةً لكنهُ لم ينجح مع التتر وتوفي سنة ١٦٤٠

فخلفهُ السلطان ابرهيم فقهر التتر واستولى على قسم من جزيرة كريت ومات مقتولاً سنة ١٦٤٦ فبويع ولده محمد الرابع فحارب المجر لكنهُ انهزم امام اسوار فينا وفي معركة موهاكز وتوفي عام ١٦٨٧ واستقر على العرش اخوه السلطان سليمان الثاني فحارب المجر وانكسر والنمسا وانتصر واسترد بلغراد وتوفي سنة ١٦٩١ فخلفهُ اخوه السلطان احمد الثاني واحترق ربع القسطنطينية في ايامهِ وتوفي سنة ١٦٩٥ فتخلف مكانهُ السلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع فرجع الى محاربة المجر لكنهُ انهزم من امامها وعقد معها محالفة كارلوفيتز فذهبت من يده كل البلاد المجرية والترنسلفانية وما زال ينهزم بجيشهِ حتى نهر الساف والطونه وخلفهُ عام ١٧٠٣ ولده السلطان احمد الثالث فاشهر الحرب على روسيا وقهرها وارجع كارلوس ملك اسوج الى ملكه سالماً غير انه انكسر امام الجيوش الالمانية بقيادة الامير اوجين · وقام بعده باعباء المملكة السلطان محمود الاول فانكسر امام الفرس والمانيا ايضاً وساد السلام في ايامهِ وتوفي عام ١٧٥٤

فتسلطن بعده اخوه السلطان عثمان الثالث وكان يحب الانفراد وتوفي عام ١٧٥٧ وخلفه السلطان مصطفى الثالث وقد ابتدأت في ايامهِ الثورات الاهلية حتى بين مأموري الحكومة ومات سنة ١٧٧٤ وجلس بعده اخوه السلطان عبد الحميد الاول فكشرت روسيا عن انيابها وقهرت الدولة وحصلت على حق المرور من بحر ازوف الى البحر الاسود واستولت على القريم والقوبان وتوفي عام ١٧٨٩ فتبوأ السلطان سليم الثالث مسند الخلافة فجددت روسيا حملاتها عليهِ وعقدت معاهدة ايسي معهُ وكانت مجحفة بحقوق الدولة وما زالت تدفع سنة بعد اخرى حدودها الى جهة الدولة العلية حتى وصلت الى نهر الدانيبر فقام عليهِ الانكشارية وخلعوه سنة ١٨٠٧ فجلس السلطان مصطفى الرابع على كرسي الخلافة ولم تطل مدة حكمهِ لشدة نفوذ الانكشارية فتولى مكانهُ السلطان محمود الثاني وكان رجلاً عاقلاً محباً للاصلاح غير

ان الظروف لم تساعده اذ تألبت عليهِ المصائب دفعةً واحدة · واول شيء صنعهُ قتل الانكشارية واقامة جيش مدرب عَلَى النظام الاوروبي · لكن روسيا لم تدعهُ يستريح فاشهرت عليهِ حرباً عواناً وعقدت معهُ محالفة بكرش اوصلت بها حدودها الى الطونه وخسر سنة ١٨٢٨ جزر بحر اليونان اذ اعطتها انكلترا الى اليونان كبائنة لها حين حصولها على استقلالها وهب محمد علي باشا خديوي مصر فاستولى على سورية حتى قونيه فمات السلطان قهراً عام ١٨٣٩ فخلفهُ السلطان عبد المجيد واشهرت روسيا حرب القريم على الدولة فساعدتها عليها فرنسا وانكلترا وانتصرتا على روسيا بحراً وبراً لكن هذه المحاربة افقدت الدولة ولايات مصب نهر الطونه

وثارت كريت والهرسك وبلغاريا واستنجدوا بالجبل الاسود والسرب لكنهم انهزموا من امام الدولة فاستصرخوا بروسيا مستنجدين فبرزت هذه لتأخذ بناصر ربيباتها واشهرت الحرب على الدولة سنة ١٨٧٧ فاستولت على قارص وباطوم وارضروم وما زالت تتقدم حتى وقفت امام الاستانة وامضت معاهدة سان استفانو التي تعدلت في معاهدة برلين فاخذت روسيا قارص وباطوم وانكلترا قبرص وادارت النمسا البوسنه والهرسك وسنجق يكي بازار مدة ٢٥ سنة واستقلت رومانيا والسرب والجبل الاسود · ونالت بلغاريا مع الروملّلي الشرقية استقلالاً ادارياً وحدثت سنة ١٨٩٧ حوادث كريت وحرب اليونان التي رغماً عن كونها مغلوبة اخذت تساليا ·

وفي ٢٤ تموز سنة ١٩٠٨ اعلن الدستور في المملكة العثمانية · وخلع عبد الحميد في ١٣ نيسان وجلس على اريكة الملك اخوه السلطان محمد رشاد الخامس الحالي واخذت النمسا البوسنه والهرسك نهائياً مقابل كمية من الدراهم وارجعت سنجق يكي بازار الى الدولة · وسنة ١٩١١ اعلنت ايطاليا الحرب على الدولة واستولت على طرابلس الغرب بموجب معاهد

لوزان في ١ ايلول سنة ١٩١٢ واضطرت الى ذلك لاشهار الجبل الاسود الحرب عليها وثوران العاصفة في البلقان

القوة البرية

الخدمة العسكرية هي اجبارية في المملكة العثمانية فتشمل جميع السكان من جميع المذاهب ومن يدفع البدل النقدي لا يعفى من الخدمة مطلقاً بل يدرب على الحركات العسكرية مدة ثلاثة اشهر وتبدأ لدى بلوغ الشاب من الحادية والعشرين وهي ثلاثة بالنظامية وستة بالاحتياط وتسع بالرديف وسبع بالمحافظ ومجموعها ٢٥ سنة

وعدد الفيالق ١٤ فيلقاً ومجموع فرقها مع الفرق المستقلة ٤٣ · وتتألف الفرقة من ١٧ تابوراً وفي كل فيلق فرقتان الواحدة مدفعية والاخرى خيالة · اما الفرقة المدفعية فتتألف من ثلاثة الوية وكل لواء من الايين وكل الاي من تابورين وكل تابور من ثلاث بطاريات وكل بطارية من ستة مدافع · فيكون مجموع ما لديها من المدافع ٧٤٨٨ مدفعاً · لكنها لا تتمكن من احضارها جميعها الى ساحة القتال ·

وتجهز الدولة ابان الحرب ٣٩٣٠٠٠٠ جندي لكنها لا تقوى على ارسالهم جميعاً الى ساحة الحرب اولاً لانها تلتزم بترك عدد ليس بقليل في ولاياتها توطيداً للامن ثانياً لخلو الخزينة من المال الكافي لتجهيزهم ثالثاً لعدم وجود سكك حديدية لنقلهم رابعاً لان عدداً ليس بقليل مكتوم اسمهُ وخامساً لدفع ٢٠ بالمائة البدل النقدي ·

قلنا يتألف الفيلق من عدة فرق وكل فرقة تتركب من شعبتين ويحتوي الفيلق على ٣٥ الف جندي · وتقسم فرقة المشاة الى الوية وهذه الى آلايات والآلايات الى توابير والتوابير الى بلوكات وهذه الى طوائف

والطوائف الى دوائر وتتألف الدائرة من ٨ الى عشرة انفار مع رئيس يقال له اونباشي والطائفة من ٦٦ نفراً تحت قيادة ملازم والبلوك من ٢٠٠ نفر تحت ادارة يوز باشي والطابور من الف جندي تحت قيادة بكباشي والالاي من ٤٠٠٠ جندي واللواء من ثمانية الاف والفرقة من ١٦ الف ويوجد مع فرقة المشاة حين السفر طابور مدفعي وجوق خيالة وبلوك متراليوز (مدافع رشاشة) وطائفة من الافراد المختصة بهندسة الجسور وكتيبة رماة مع مفرزة صحية وموكب للتلغراف فتبلغ بهم الفرقة نحو عشرين الف نفس ·

القوة البحرية

ان الاسطول العثماني كان كالعدم في ايام السلطان السابق عبد الحميد الثاني · ولما اعلن الدستور اخذ حزب تركيا الفتاة يسعى بتقوية الاسطول فجدد شيئاً منهُ واصلح بعض ما وجد واشترت من المانيا مدرعتين قديمتين فحبذا لو انها اوصت احد معامل اوروبا الشهيرة بعمل مدرعة كبيرة بقيمة هاتين المدرعتين لكانت منفعتها تفوق كثيراً منفعة هولاء لاسيما في هذه الحرب · اما اسطولها الحالي فيتألف هكذا

٧ دوارع حربية من الدرجة الثانية وثلاث دوارع اخر ايضاً من الدرجة الثالثة محمولها عشرة الاف طن غير انها اقل قوة من الاولى واربع دوارع من الدرجة الثالثة محمولها تسعة الاف طن ومن ثلاث طرادات للاستكشاف ومن تسعة مضادة للطوربيل ومن اثني عشر طوربيلاً وكثير غيرها فيكون مجموعها ٤٨ مركباً حربياً

دول البلقان

١ً بلغاريا

في اواخر القرن السابع ظهرت في البلقان قبيلة من قبائل اسيا تعرف بالطورانية وكان مقرها بين جبال الاورال ونهر الفولكا وما زالت تواصل السير عابثة في البلاد التي تجتازها حتى وصلت الى قرب القسطنطينية فخاف ملك الروم سطوتها لشدة بطشها ووهبها ميسيا فطاب لها المناخ واختلطت بسكانها السلاف واقتبست لغتهم وتمدنهم وغلب بعدئذٍ على تلك البلاد اسم بلغاريا نسبة لتلك القبيلة ٠

وما انبثق فجر القرن العاشر الا واستولوا على البلاد الممتدة من البحر الاسود الى بحر الادرياتيك ومن تساليا الى جبال كرباثيا٠ غير ان مملكتهم لم تلبث ان انشقت الى قسمين الواحدة الى الغرب وعاصمتها اوخريدة والثانية الى الشرق وعاصمتها برسلاف٠ غير ان المملكتين لم تدوما طويلاً اذ استولى عليهما الروم واخضعوهما ولا عجب فكل بيت ينقسم على ذاتهِ يخرب ٠ بيد انهم لم يعتموا حتى نهضوا سنة ١١٨٦ بقيادة ايوان اسان وخلعوا نير الروم ورتبوا مملكتهم ثانية بقواعد العلوم والتجارة والفنون وجعلوا ترنوفه قاعدة ملكهم فخاف السربيون من سطوتهم وما زالوا بهم حتى اخنوا عليهم سنة ١٣٣٠

ولما غزا الاتراك شبه جزيرة البلقان كما مر معنا في تاريخ العثمانية اخذوا يتقدمون رويداً رويداً ويفتتحون المدن والممالك والبلغار ساهون عنهم حتى سنة ١٣٩٣ حيث فتحوا مدينة ترنوفه العاصمة واستولوا على جميع البلاد البلغارية غير انهم افاقوا عام ١٨٣٥ من سباتهم فاخذوا يبثون روح القومية في بلادهم فنجحوا وتمكنوا سنة ١٨٧٠ من فصل كنيستهم عن بطريركية الفنار

بفرمان سلطاني وجعلوا لهم اكسرخوساً يرأس اعمالهم مركزه الاستانة · وسنة ١٨٧٦ حدثت مذابح عظيمة في البلغار فهبوا يستصرخون روسيا فساعدتهم واشهرت على الدولة تلك الحرب المشؤومة واعطتها في معاهدة برلين استقلالاً اداريًا تحت رئاسة وسيادة السلطان ·

فاجتمعت الجمعية الوطنية المدعوة السوبرانية في ٢٩ نيسان سنة ١٨٧٩ وانتخبت اميرًا عليها اسكندر باتنبرج احد اقرباء قيصر روسيا · غير ان هذه ارادت ان تبسط حمايتها عليها فهب البلغاريون عن بكرة ابيهم وطردوا القواد الروسيين فكان لذلك تأثير عظيم في جميع اصقاع روسيا

وفي ١٨ ايلول عام ١٨٨٥ هبت ثورة في فيليبولي عاصمة الروملي الشرقية فطردت غفر بل باشا وارسلتهُ الى الاستانة ودعت البرنس اسكندر باتنبرج امير البلغار بين اشارة الى انضمام الروملي الى بلغاريا · فاحتج السربيون واشهر ملكهم ميلان الحرب على بلغاريا لكنهُ انهزم في معركة سليفينتزا في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٨٥ ومن ثم سار في يرود وغزا اسكندر باتنبرج بدوره السرب وانتصر في بيرو ومشى على نيك فتداخلت الدول واصلحت بينهما · لكن ثورة عظيمة هبت في السرب ضد ميلان فقلبتهُ عن العرش سنة ١٨٨٩ ووضعت محله ولده اسكندر الاول ·

فغضبت روسيا عَلَى بلغاريا لانها بعملها هذا اقامت حصنًا منيعًا ضد امال روسيا من الاستيلاء عَلَى الاستانة · فارسلت روسيا في ليلة ٢١ آب سنة ١٨٨٦ رجالاً من قبلها حملوا اسكندر دي باتنبرج على التنازل عن الملك وذهبوا بهِ مخفوراً بين الجنود الى لمبرج في النمسا · فثارت بلغاريا بقيادة ستامبولوف الشهير عن بكرة ابيها ودعت البرنس اسكندر ليكون اميرًا عليها · فزأرت روسيا وانذرت بلغاريا بسوء المصير فتنازل اسكندر دي باتنبرج عن الملك وفضل مغادرة عرشهِ عَلَى تعاسة اميريته في ٧ ايلول سنة ١٨٨٦

فاجتمعت السوبرانية في ٧ تموز سنة ١٨٨٧ وانتخبت اميراً عليها البرنس فردينند دي ساكس كوبورج غوتا الملك الحالي وكان قائداً في الجيش النمسوي ويتصل نسبهُ بالملك لويس فيليب من امهِ ابنة الملك المذكور. بيد ان روسيا لم تنم فلم تزل تسعى حتى قتلت ستامبولف في ايار سنة ١٨٩٤ فراى البرنس فردينند ان لا غنى له عن مسالمة روسيا فتقرب منها واعتنق ولي عهده الامير بوريس الديانة الارثوذكسية وجعلها رسمية في الحكومة البلغارية وحسن علائقه مع جميع الدول وعقد معاهدة تجارية مع الدولة العلية واخذ في تنظيم الشؤون العسكرية بجميع قواه وارسل قواداً حربيين الى المدارس الاوروبية واشترى من فرنسا مدافع ضخمة من معمل كريزو وقدم التجارة ونشط الزراعة وود الحصول عَلَى مقدونيا التي اكثرها بلغار فالف عصابات لتعيث في البلاد فساداً وتوهم اوروبا ان العثمانية لا تقوى عَلَى ضبطها وان ليس لهذه السفينة الا هذا الملاح

ولما استلم الاتحاديون زمام الاحكام لم يعلموا ان يلاطفوا نزق وطيش البلغاريين فاعلن الصدر الاعظم في ايلول سنة ١٩٠٨ لسفراء الدول ومعتمديها انهُ سيكون سعيداً بمناولتهِ الغذاء معهم تذكاراً لانبثاق فجر الدستور ولم يدعُ معتمد بلغاريا من دون سائر الدول فاغتاظت بلغاريا واستدعت معتمدها المسيو كيشوف من الاستانة وكان عذر الصدر الاعظم ان بلغاريا هي قسم من العثمانية

واعتصب مامورو السكة الحديدية فطلبت بلغاريا من الدولة ان تضع في بلادها انفاراً من عسكرها يقومون بهذه الخدمة حتى نهاية الاعتصاب. ولما انتهى ابت رد الخط وعرضت ان تدفع عنهُ تعويضاً مالياً. فرفضت العثمانية فذهب فردينند حالاً مع جم غفير الى مدينة تيرنوفو العاصمة واعلن انضمام الروملي الى بلغاريا واستقلال الاثنتين وتحويل امارته الى مملكة واتخاذه لقب قيصر عوضاً عن برنس فاضحت الحرب على قاب قوسين فتداخلت

روسيا حالاً وسوت المسالة بينهما فاعترفت الدول والدولة باستقلال بلغاريا سنة ١٩٠٩ واراد فردينند ان يستولي على مقدونيا فعقد محالفة مع السرب لدى مروره ببلغراد في كانون الاول سنة ١٩٠٩ ورد له ولي العهد الزيارة في كانون الثاني سنة ١٩١٠ فاستقبل بحفاوة زائدة ٠ وجرى الامر ولم تدرِ الحكومة العثمانية بذلك ٠

يبلغ عدد سكان بلغاريا لا اقل من اربعة ملايين ونصف وتضع في ايام السلم جيشاً لا يقل عدده عن ٥٦ الفاً وابان الحرب ٣٨٠ الفاً لاول وهلة وتضيف اليهم بعد اسبوع مئة الف جندي معهم الف مدفع وهم على غاية ما يرام من النظام والترتيب وحسن المعيشة ٠ والمشاة مسلحون ببندقية مانليشر قطر فوهتها ثمانية ميليمترات ومدافعها جديدة ضخمة صنع معامل فرنسا ٠ ولها اسطول صغير في البحر الاسود لا يتعدى العشر قطع عداً ٠

٢ً السرب

يرجع اصل السرب الى قبائل سلافية موطنها غاليسيا شمالي النمسا ثم ذهبت الى شواطىء البحر الاسود واخذت تتقدم من هناك الى ان ضربت اطنابها في بلادها الحالية ٠ وفي اواخر القرن السابع استولى عليها البلغار والروم مدة اربعمائة سنة ٠ وفي اواسط القرن الثاني عشر نهض اسطفانوس نمانيا احد امرائهم فجمع كلمتهم وما زال اولاده واحفاده يجتاحون بلاد الروم حتى قهروهم مراراً واستولوا على البانيا ومكدونيا وتتوج احد احفاده سنة ١٣٤٨ امبراطوراً على السرب والروم وجعل عاصمتهُ مدينة اسكوب

وخلي عرش السرب زمناً بانقراض العائلة المالكة فملكوا عليهم رجلاً يدعى لازار غير ان السلطان مراد عاجلهم بعساكره ففاز العثمانيون وقتل السلطان مراد والملك لازار في اثناء المعركة في سهل قوصوه في حزيران سنة ١٣٨٩ ٠ وعام ١٤٢٧ قام جورج برنكوفتش واستعان بهنيادي كما

ذكرنا في تاريخ المملكة العثمانية وفازا على العثمانية في موقعة قونوفيتزا عام ١٤٤٤ ولكن السلطان محمداً الثاني غزا السرب سنة ١٤٥٩ فاكتسحها وضمها الى الاملاك العثمانية

وفي اوائل القرن التاسع عشر انتهز السربيون فرصة عصيان الانكشارية في بلغراد فالتفوا حول جورج بتروفتش فشتتوا شمل الانكشارية وطردوهم من بلادهم واقاموا لهم حكومة مستقلة . لكن الدولة العثمانية عقدت مع روسيا سنة ١٨٠٧ معاهدة بكرش لتتفرغ هذه لصد اغارة نبوليون بونابرت عليها واعادت السرب الى الدولة العلية ففر جورج بطلهم . وفي سنة ١٨١٥ شبت نار الثورة تحت قيادة ميلوش ونالت عام ١٨١٧ الاستقلال الاداري بموافقة الدولة العلية وجميع الدول المعظمة في معاهدة ادرنه عام ١٨٢٩

ولما تولى الامارة ميشال ابرونوفتش غير نظام الحكومة واتفق مع اليونان والجبل الاسود والبوسنه والهرسك والبلغار والالبان على ان يقوموا على الدولة قومة رجل واحد وليست هي المرة الاولى التي تحالفوا بها ثم ارسل الى الباب العالي يطلب خروج الجنود العثمانية من كل الحصون السربية فاجابتهُ الدولة الى ما طلب خوفاً من نار عظيمة وحباً بحقن الدماء . وسنة ١٨٧٦ شهرت السرب الحرب على الدولة العثمانية فانهزمت شرَّ هزيمة وكان قضي عليها لولا مداخلة روسيا واشهارها الحرب على الباب العالي . فاعترف سنة ١٨٧٨ بمعاهدة برلين باستقلال سربيا

ولما ضمت بلغاريا الروملي الشرقية اليها قامت السرب وقعدت لكنها غلبت في عدة معارك كما جاء في حينهِ من تاريخ بلغاريا . واشتد بغض الشعب للملك فتنازل عن العرش لولده اسكندر الاول عام ١٨٨٩ فلم ينجح في سياستهِ مع السربيين اذ جعل والده قائداً عاماً للجيش السربي وتعلق بعشق مدام دراغا من حاشية والدتهِ وتزوج بها فثار عليهِ الشعب السربي وقتله مع زوجتهِ سنة ١٩٠٣ فدعي البرنس بطرس قره جيروجيفتش

لتولي الملك ولم يزل على العرش حتى يومنا هذا ٠

يبلغ عدد جيش السرب في ابان الحرب ثلاثمائة الف مقاتل لديه خمسمائة مدفع ضخم صنع معامل فرنسا اما بندقيتها فهي من جنس الموزير

٣ اليونان

يمتد تاريخ اليونان الى اكثر من الفي سنة قبل المسيح وعمرانها كتاريخها قديم جداً وقد اثر في عمران المسكونة ولا يزال تأثيره حتى الآن ٠

خضعت اليونان للرومانيين في اواسط القرن الثاني عشر قبل المسيح وصارت جزءاً من المملكة الرومانية ثم لما انقسمت هذه الى شرقي وغربي وجعلت القسطنطينية عاصمة المملكة الشرقية قلل هذا الابدال شان اثينا من جهة العلوم والفنون والتجارة ووقع وقعاً سيئاً في قلوب اليونانيين وحقيقة الامر ان هذا الانقسام قد اضر باليونان ضرراً فاحشاً فوقفت تجارتها وانحطت زراعتها ثم انتابتها الزلازل سنة ٣٧٥ وغزاها الغوط سنة ٣٩٥ فخربوها ٠

ولما اعتنقت الامبراطورية الرومانية الديانة المسيحية بقيت اليونان متمسكة بالوثنية الى اواخر القرن السادس ثم ظهرت بينهم وحولهم آثار الديانة المسيحية وفضائلها العديدة فاهتدوا اليها واضحوا من اقوى انصار المسيحية واهتم كهنتهم بنشرها وتركوا اسم اليونان وتسموا باسم الروم ٠ ويراد بالمملكة الرومية المملكة اليونانية

وفي القرن السادس استولى عليهم الونداليون والهولنيون والاواريون والسلافيون وبقي منهم كثيرون في البلاد واختلطوا بسكانها الاصليين ولذلك ليسوا تماماً من دم اولئك الذين نقرأ عنهم الاخبار القديمة في حرب تروادة وغيرها ونسبة الموجودين منهم الى اليونان كنسبة اهالي سوريا

الى العرب . وفي القرن العاشر البلغاريون واستولوا عَلَى بلادهم وهكذا فعل الفلاخيون في القرن الحادي عشر واهالي صقلية والبندقية في القرن الحادي عشر والثاني عشر .

واستولى اللاتينيون عَلَى القسطنطينية عام ١٢٠٤ واحتلوا البلاد اليونانية واستولى عليها السرب سنة ١٣٥٠ والعثمانيون سنة ١٣٩٧ . واليونان يحبون الاستقلال ولا يرضون عنهُ بديلاً فثاروا مدة ستين سنة ولم يفلحوا فقنطوا وهاجروا البلاد وتركوها قاعاً صفصفاً حتى انهُ بلغ عددهم سنة ١٨٠٠ ثمانمائة الف نفس فقط وقد كانوا قبلئذٍ لا اقل من ثلاثة ملايين .

وفي اوائل القرن التاسع عشر هبوا عن بكرة ابيهم طالبين الاستقلال فشقوا عصا الطاعة وجاهروا بخروجهم عَلَى الدولة فساعدتهم فرنسا وانكلترا وروسيا ووهبتهم الثانية جزائر بحر اليونان كما جاء في حينهِ في تاريخ الدولة العثمانية واستقلوا سنة ١٨٢٩ طبقاً لمعاهدة ادرنه وجعلت اليونان جمهورية والكونت حنا كابو رئيساً لها ثم مملكة مستقلة حسب اتفاق لوندره سنة ١٨٣٢ تحت حماية فرنسا وانكلترا وروسيا وجعل الامير وطون ابن ملك بافاريا ملكاً لها فلم يحسن السياسة ولما نشبت الحرب بين الدولة العلية وروسيا حاول اليونانيون مساعدة روسيا فعارضتهم فرنسا وانكلترا فاغتاظوا من ملكهم وخلعوه واختاروا لهم البرنس الفرد الانكليزي ولكن فرنسا وانكلترا وروسيا تعاهدن ان لا يكون الملك منهنَّ فاختار اليونان البرنس وليم جورج ابن خريستيان التاسع ملك الدنمرك فجعل ملكاً تحت اسم جورج الاول في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٨٦٣ .

وسنة ١٨٩٧ اشهرت الحرب عَلَى الدولة بشان كريت فدهم ادهم باشا بلادهم واستولى عليها لكن انكسارهم افادهم فعرفهم موضع الخلل

منهم فاخذوا يصلحون رويداً رويداً امورهم وحصلت لهم قلاقل كثيرة مع الدولة بشأن جزيرة كريت الى ان وفقوا اخيراً الى جعل فنزيلوس رئيساً للوزارة وهو اعلى الرجال همة واذكاهم عقلاً واشدهم غيرة وذلك في ١٩ تشرين الاول سنة ١٩١٠ فاصلح شؤون الحكومة واخذ بسياسته يتقرب من الدولة ظاهراً ويعد جنوده وسلاحه باطناً حتى نشبت هذه الحرب اظفارها فاظهر مقدرته الغريبة ·

لليونان قوتان برية وبحرية وهي الوحيدة بين الحلفاء التي لها اسطول يضاهي اسطول الدولة العثمانية او يفوقه نظراً لمركز اليونان الجغرافي · ويتألف جيشها من مائتي الف مقاتل مسلحين باسلحة افرنسية ومدربين تحت قيادة قواد افرنسيين ·

ويتألف اسطولها من : مدرعة مصفحة محمولها عشرة الالف طن وثلاث دوارع مصفحة من الجنس الثاني ومدرعة محمية واثني عشر مضاداً للطوربيل من الجنس الاول واثني عشر مركباً مسلحاً للنقل وكثيراً غيرها فيكون مجموع اسطولها ٤٤ قطعة في حالة جيدة معدة للقتال ·

٤ً الجبل الاسود

الجبل الاسود قضى زمناً طويلاً وهو محافظ على استقلاله ثم لم يعتم ان خضع للرومانيين واضحى ولاية من ولايات السلاف وفيه ولد الامبراطور ديو قلتيانوس · واختلف المؤرخون باصل سكانه · فمنهم من اتى بهم من وراء جبال الاورال ومنهم من قال انهم من مكدونيا وحقيقة الامر ان سكان جبل الاسود لبنانيين الاصل فهاجروا من بلادهم واستوطنوا تلك الاماكن في عهد الرومانيين وكان يدعى اهل جبل لبنان اذ ذاك بالمردة يدلك على ذلك تناسب جثثهم وجثث اللبنانيين ولبسهم وقد ايد هذا القول عدة مؤرخين يشهد لهم بطول الباع وبعد النظر ·

وفي اواسط القرن الحادي عشر دعا اميره نفسهُ ملكاً للسرب واضحت الولايتان مملكة واحدة ولما دارت الدائرة عَلَى السرب في معركة قوصوة التجأ عدد عظيم منهم الى الجبل الاسود . ولتوالي الحروب بينهُ وبين الدولة العثمانيـة اضحى جميع رجاله رجال حرب ومن لم يحمل السلاح يلبس كالنساء ويطرد بالحجارة من البلاد . ولما خارت عزائمهُ اعتزل اميره كرنجنفش وسلم الامارة لاسقف البلاد واعتزل الى ايطاليا وذلك سنة ١٥١٦ . واستمرت الحال عَلَى هـذا المنوال حتى سنة ١٦٩٦ فجعلوا الراهب دانيلو من الهرسك المهاجر وقتئذٍ الى الجبل الاسود اميراً عليهم وتوالت الحروب مع الدولة العثمانية فغزا سنة ١٧١٤ كوبرلى باشا وضرب عاصمتهُ ستنجه وسنة ١٧٨٥ قره محمد باشا الذي حرقها ايضاً لكن الجبليين كسروا العثمانيين بعدئذٍ وقبضوا عليهِ وقتلوه .

وفصل سنة ١٨٣٠ دانيلو الثاني الرئاسة الدنيوية عن الدينية واختص بالاولى وقتل سنة ١٨٦٠ تخلفهُ ابن اخيه نقولا الثاني الملك الحالي وقد ولد عام ١٨٤١ ودرس في تريستا وباريس ونودي بهِ اميراً سنة ١٨٦٠ وملكاً عام ١٩١٠ . وقد بذل همهُ ليجعل السرب والجبل مملكة واحدة لكن معاهدة برلين قضت على اماله كما قضت عَلَى آمال كثيرين غيره فوجه اهتمامهُ الى اصلاح امارته رغماً عن فقرها وزوج ابنته من ملك ايطاليا ولم يعترف باستقلالية امارته رسمياً الا عام ١٨٧٨ ونظراً لفقر بلاده تهبهُ دائماً روسيا ٥٥ الف ليرا سنوياً لسد نفقات الجنود والمستشفيات والتعليم ويهديه قيصر روسيا بعض هدايا تكفيه سنوات عديدة . وحكومة الجبل حكومة دستورية ويدير دفة السياسة فيها خمس نظارات تحت رئاسة الملك :

والتعليم الابتدائي في الجبل الاسود اجباري مجاني مع انهُ لا يعد اكثر من نصف سكان لبنان وكان فيهِ مطبعة منذ ابتداء سنة ١٤٩٣ الى

سنة ١٥٦٦ وهي من اقدم مطابع العالم حتى اتى الاتراك فامتلكوها سنة ١٥٦٦ . وفي سنة ١٨٩٣ احتفل اميره بمرور اربعمائة سنة على انشاءها

وقوة الجبل الاسود تبلغ من ٤٠ الى ٥٠ الفاً بيد ان معظم اهاليه يتقلدون السلاح و ينزلون الى ساحة القتال وهم معتادون على الرمي والكر والفر . ولديه ١٥٠ مدفعاً بينها ثلاثون ضخماً من اول جنس .

فيكون اذاً عدد الجيوش المحالفة في ساحة الحرب ٩٢٠ الف مقاتل لديهم ٢١٥٠ مدفع . اما الجيش العثماني فيبلغ مليوناً وخمسمائة الف مقاتل هـذا اذا جردت جميع العساكر وخاضت غمار الحرب . وسنرى قوة الجيشين عدداً وعُدداً في فصل اخر وما جردت كل دولة الى ساحة القتال

الفصل الثاني

مقدونية واسباب الحرب

لا يسعنا الا ان نقول كلمة اجمالية في مقدونية منبع الشرور والثورات ان العثمانيين يشكلون الاقلية في مقدونيا والعنصر المتغلب هو العنصر البلغاري وقد قسمت معاهدة برلين الارض المسكونة من البلغاريين الى ثلاثة اقسام ١ً بلغارية الحالية مستقلة ٢ً الروملي الشرقية ولها حاكم مسيحي ٣ً مقدونيا وهي تحت حكم الدولة . وقد ارادت روسيا بهذا التقسيم بعد ان فشلت في معاهدة برلين ان يكون لها اصبع في المسألة الشرقية واضافت بنداً في الاهمية بمكان عظيم وهو اجراء الاصلاحات اللازمة فيها وتعهدت الدولة العثمانية بتنفيذها باقرب وقت .

ولما حدثت حرب سنة ١٨٩٧ بين الدولة العثمانية واليونان استغنمت بلغاريا هذه الفرصة للتقرب من الدولة وحصلت بارادة سنية على جعل

اكسرخوس لها مركزه مدينة ثبرنوفو وقرر الباب العالي اذا كان ثلثا الاهالي من كل بلاد يودون الالتحاق باكسرخوسية البلغار فيصبحون تابعين لها . لذا استمرت بلغاريا تضع جهدها لحمل المقدونيين عَلَى الالتحاق بها . ولما حصلت على ماتبتغيه ارادت ان تقذف بعيداً كرة مطامعها وتستولي على جميع مقدونية وتضمها الى بلغاريا فتألفت لهذه الغاية جمعية في صوفيا غايتها بث القلاقل في مقدونيا لتحمل اوروبا على الاعتراف بعدم مقدرة الباب العالي عَلَى توطيد الامن في تلك الارجاء فاخذت تعيث في البلاد فساداً وتنهب وتسلب وتحرق المنازل وتهدم القرى وتلقي الديناميت في الجوامع وتنسف القطارات اثارة للمسلمين وحملهم على الفتك باخوانهم المسيحيين فتتداخل اوروبا وتسن استقلالاً لمقدونية يكون نهايتهُ الحاقها ببلغاريا . ومنذ ذاك الوقت تشكلت حقيقة المسألة المقدونية . فتداخلت الدول الاوروبية منعاً للمذابح وتوطيداً للامن وترويجاً للاصلاحات المقرر اجراؤها في معاهدة برلين وشكلت جندرمة مختلطة تحت قيادة جنرال ايطالي .

وهذا التداخل الاجنبي عجل رجال تركيا الفتاة باعلان الدستور سنة ١٩٠٨ الذي عقبهُ سقوط عبد الحميد .

بيد ان اعلان الدستور لم يخدر شيئاً من اعصاب الثوار بل زاد الموقف حراجة حتى حدثت حادثة اشتيب فهبت الحكومة من رقادها وعزمت ان تضع حداً لهذه القلاقل والاضطرابات فلما رأت ذلك بلغاريا عزمت عزماً اكيداً على اقتحام غمرات الحرب بعد ان خابرت محالفيها بذلك

ولرب سائل يقول وكيف اتفق البلقانيون عَلَى الدولة العثمانية مع ماهم عليهِ من التنافر ؟ فاليهِ السبب .

خولت معاهدة برلين حقاً للنمسا باحتلالها البوسنه والهرسك وسنجق نوفي بازار مدة ٢٥ سنة لتوطيد الامن بها ولما انقضت هذه المدة ابت

النمسا الخروج منها وتهامل عبد الحميد في اخراجها حتى سنة ١٩٠٩ اذ آنست من رجال تركيا الفتاة ميلاً الى طلب حقوقهم فاعلنت انضمام البوسنه والهرسك اليها والجلاء عن نوفي بازار فقامت الحكومة العثمانية وقعدت لهذا الحادث لكنها اذعنت رغماً عنها لقرار الدول التي اعتبرت الحادث امراً فعلياً · فزأرت السرب لانها كانت تغذي آمالها باستيلاء عليها وحرق الجبل الاسود الارم عَلَى فقد سنجق نوفو بازار مطمع آماله واخذا يترقبان الفرص لاخذ الثار من النمسا وقد علما انهما سيكونان يوماً مالقمة سائغة لحكومة فينا فاخذا يسعيان لدرء هذا الخطر عنهما ·

اما في اليونان فلم تنم عينا المسيو فنزيلوس و بقي ساهراً على صوالح اليونان ومنتظراً الفرصة السانحة لضم كريت اليها لكنهُ تيقن ان دون ذاك الانضمام حرب تشيب لها الولدان ووزن قوتهُ مع قوة الدولة العثمانية فرأى عجزه عن محاربتها وعدم اقدام الدول عَلَى الحاقها باليونان الا لدي فرصة مناسبة خيفة حرب ضروس تشعل شرارتها عواصم اوروبا فاخذ يسترق لحاظ الدهر عله يفز بمرغوبهِ ·

جعلت كل واحدة من الدول البلقانية تنظر شذراً الى العثمانية لامنية تحب اخراجها الى حيز العمل لكنها وجمت جميعها خوفاً منها واخذت تترقب الفرص · وقد حدث ما عقد اواصر عزم كل واحدة منهن · وتفصيل الخبر ان البطريرك يواكيم المتوفى حديثاً زار يوماً طلعت بك وكان وقتئذٍ وزير الداخلية فعرض عليهِ ما يلاقيهِ ابناؤه من تعديات البلغار وطلب اليهِ الاسراع بالقبض عليهم فتذمر طلعت بك وقال (اما كفتنا مشاكلنا الداخلية حتى نتفرغ ايضاً لكم !)

فعظم الامر عَلَى البطريرك وخرج متأثراً واخذ يسعى بالتقرب من البلغار بين والسربيين وغيرهم طلباً للاتفاق والتعاضد ضد المستبدين من رجال الحكومة العثمانية وارسل كتاباً الى قيصر روسيا يخبره بالمسألة فطار

جلالتهُ فرحاً لهذه الفرصة لان حكومة بطرسبرج كانت تعلم حق العلم ان النمسا باستيلائها على البوسنه والهرسك قد ضربت بنفوذ روسيا عرض الحائط وان قصدها الوصول الى بحر ايجه عن طريق سالونيك . وهذا مما يقضي عَلَى تجارتها ونفوذها في البلقان ويقوض امالها بالاستيلاء على الاستانة فعزمت عَلَى جعل دول البلقان آلة في يدها تضمهم الى بعضهم وتدفعهم ضد العثمانية فتضعف قوتها من جهة وتكوّن منهم حداً فاصلاً يمنع النمسا من الوصول الى سالونيك من جهة اخرى . فاوعزت الى البطريرك القسطنطيني ان يصنع جهده لتحالف دول البلقان مع بعضهن مبيناً لهن عاقبة الانفراد ومنافع الوئام والاتحاد وارسل الى كل من الدول البلقانية بكتاب خاص في نفس الموضوع . فتقابل ساسة البلقان وتعارفوا وتقاربوا واخيراً اتحدوا مع بعضهم والفوا عصبة واحدة وما زالت روسيا تؤلف بينهم حتى بلغت مرادها . فخرج قيصر روسيا يتنزه في البحر ويقابل امبراطور المانيا وزار المسيو بوانكاره روسيا وجاء وزير خارجية روسيا الى لندرا وباريس في الربيع الغابر واعلن للدول البلقانية ان الدول الاوروبية ستبقى عَلَى الحياد وتعلن بادئ بدء انهُ لا يحق للمنتصر اخذ شيء من اراضي المغلوب فان انتصرت عمدت اوربا الى تغيير خطتها وهي (البلقان للبلقانيين) ووعدتهن بكل مساعدة تطلبها منهن ظروف الحال فاصغت اليها لانهن تعتبرها بمثابة وصية عليهن ولا سيما الجميع من عائلة واحدة .

اقتراح برشتولد والازمة البلقانية

ضربت اوتار الاتفاق في البلقان فرحاً واوتار سياسة النمسا اضطراباً ووجلاً ولم يخف عَلَى ذكاء ونباهة الكونت برشتولد ما يجري في شبه جزيرة البلقان وما ترمي اليهِ روسيا من وراء ذلك فخطب خطبة في مجلس النواب رددت صداها جميع جرائد اوروبا واقترح على دول اوروبا مؤملاً منها

الاخذ بيده حفظاً للسلم الاوروبي من خطر الحرب ان تسعى لدى العثمانية لمنح الاصلاحات المقرر اجراؤها في مقدونيا وغيرها والسير عَلَى خطى اللامركزية في جميع الولايات العثمانية تحت مراقبة الدول الاوروبية فقامت دول اوروبا غير مكترثة بهذا الاقتراح اما الحكومة والجرائد العثمانية فانحت باللائمة عليهِ وطعنت بهِ بعضها طعناً مراً · ولو عرفت الدولة العثمانية ان ذلك الاقتراح هو الواسطة الوحيدة لانتشالها من هذه الوهدة الوبيلة لما احجمت عن العمل ولات ساعة مندم ·

ولما حبط مسعى برشتولد ارتبكت دوائر النمسا لانهُ اراد باقتراحه احباط اتفاق دول البلقان وقد اخذت المسألة دوراً مهماً حتى حدثت واقعة كوتشانا وتفصيل الخبر الحقيقي ان بعض ضغائن شخصية دفعت بعض المسيحيين المدفوعين من الجمعيات السرية البلغارية لقتل اربعة من المسلمين ونهب ذخائرهم وحرق منازلهم فهب المسلمون دفعةً واحدة · ولما علمت الدولة بذلك ارسلت عساكرها الى كوتشانا فاخذت في القتل دون تفرقة بين بريء ومجرم · فهب البلغاريون وثار ثائرهم وطلبوا من دولتهم اشهار الحرب عَلَى العثمانية واقيمت المظاهرات وتليت الخطب وكثرت الحوادث على الحدود ورأت الحكومة العثمانية ان طيَّ الرماد وميض نار فارادت ان تستعد لها بطريقة نبيهة وهي اقامة المناورات الحربية في سهل ادرنه كما هي عادتها في فصل الخريف ·

ولكن عوضاً عن ان تسكن هيجان البلقانيين فقد زادت في الطين بلة · وعدت تلك الدول المناورة تهديداً لها فتداخلت دول اوروبا وقبلت العثمانية جواباً لطلبها ان تعدل عدد الجيش فتجعله ست فيالق في مكدونيا واربعة في تراقيا · بيد ان بلغاريا وصربيا اللتين كانتا مستعدتين للحرب منذ امد بعيد وعالمتين ان الدولة ليست مستعدة كالواجب وانهُ يلزمها وقت لتجهيز عساكرها ونقلهم من الاناضول وسوريا الى ساحة القتال لم تردا ان تتركا

هذه السانحة تذهب ضياعاً فجمعتا عساكرهما واستدعتا ضباطهما الموجودين في المدارس الاوروبية فاضحت الحرب على مثل قاب قوسين والذي زاد الموقف حراجة ضبط الدولة العثمانية لجميع الذخائر والمؤن الواردة للصرب عن طريق سالونيك ولجميع البواخر التجارية اليونانية الموجودة في بحر مرمره. بيد ان الدول العظمى خشيت من اذناب المسألة الشرقية المفتوحة اليوم على مصراعيها فارادت حصرها واعلنت للدول البلقانية وللدولة العثمانية انها لا تسمح لاي دولة منهن بالحاق اية ارض كانت بها سواء غلبت او كانت مغلوبة. وذلك لعلمها اليقيني ان الدول البلقانية لا تثبت اكثر من عشرين يوماً امام الدولة العثمانية.

لا ندحة عن الحرب

بينا كانت تردد جبال الرودوب اصوات الحرب البالغة عنان السماء وتعلن الدول البلقانية تحالفها وتعاضدها متقلدة سلاحها وراكبة صهوات خيولها والعثمانية تستدعي جنودها مالئة بهم بطاح تراقيه ومكدونيا هبت الساسة فحركت دهاقنتها وجردت اساطينها تحت قيادة المسيو ريمون بوانكاره رئيس وزارة فرنسا. فاقترح على سفير المانيا ومسيو ساصانوف وزير خارجية روسيا ان يضمنوا للدول البلقانية الاصلاحات المقدونية تحت مراقبة اوروبا طبقاً لمعاهدة برلين وتجاه هذه الاصلاحات تتخلى الدول البلقانية عن استعداداتها وتأهباتها. وبعد بضعة ايام اتفقت الدول على العمل باقتراح المسيو بوانكاره وكلفت وزيري النمسا وروسيا كمفوضين من قبل دول اوروبا وذهبا الى صوفيا وبلغراد وستنجه واثينا فاعلماها ان اوروبا تتكفل بقبول تركيا منح الاصلاحات المطلوبة في مقدونيا وما عليها الا ان ترمي السلاح حرصاً على السلام العام.

فقبلت الدول البلقانية بذلك ولكن شتان بين ما تطلبهُ وتنصهُ معاهدة

برلين اذ لا تكفيها بعد حرية المذاهب والادارة بل تطلب استقلالاً اداريا لمقدونيا وتراقيا تحت مراقبة الدول فقط وجل ما كانت تطلبهُ النمسا من هذه المداخلة هي اعطاء الوقت الكافي للعثمانية لجمع جنودها وذخائرها . فضاق اخيراً صبر البلغاريين فاخذ البعض يرد زرافات ووحداناً قاطعين مئات من الكيلومترات على الارجل . اما تركيا فجمعت بواسطة ناظم باشا مئتي الف جندي في سهول ادرنه وقد ذهبت اتعاب دول اوروبا عبثاً

ففي ٧ تشرين الاول سنة ١٩١٢ ارسل الجبل الاسود بواسطة معتمده في الاستانة مذكرة الحرب الى الدولة العثمانية وقد جاهرت بقية الدول البلقانية انهُ من الجنون ان تترك الجبل الاسود حليفها يقاتل وحده ضد العثمانية . فضاقت الامور على الساسة العثمانيين لانهم لم يكونوا قد انتهوا بعد من الحرب مع ايطاليا لذا اضطروا ان يتساهلوا معها فعقدوا معاهدة لوزان في ٢٠ تشرين الاول استولت بها ايطاليا على جميع اصقاع طرابلس الغرب ولا يحق للعثمانية ان تعترض على السيادة لكنها تتجاهل ولا تقربها وتسحب جنودها من ساحة القتال ٢ً تسامح ايطاليا جميع العرب الذين حملوا السلاح ضدها وتعتبر كأن الامر لم يكن ٣ً ترجع ايطاليا الى الدولة جميع الجزر التي احتلتها على شرط ان تهبها الدولة الحرية التامة والاستقلال اللامركزي . ٤ً تدفع ما يلحق طرابلس من الديون العمومية وقدرها ٤٠ مليون فرنك . هذه هي اهم بنود تلك المعاهدة وهناك بنود اخر اقل اهمية منها ضربنا صفحاً عن ذكرها . اما المظاهرة للحرب فكانت في بلغاريا والسرب بالغة حد الابتهاج حتى ان جميع النساء البلغاريات ابين البكاء لدى توديع اولادهن وكثيرات من السربيات اللواتي صحبن ازواجهن الى الحدود . فاضحت البلاد البلقانية قفراء لا رجال تزرع ولا نساء تحصد . وانقطع وترامل اوروبا بالسلم فلا ينفعها غير ترك النار تشعل في ارضها دون ان تدعها تندلع الى جهات اخر .

الفرمان السلطاني

معلوم ومسلم عند الانام ان دولتنا العثمانية تود الصلح وتراعي حقوق جميع الملل لكنها ترغب ايضاً ان تلك الملل تراعي حقوق العثمانية. ليس للعثمانيين سوء نية ولا سوء نظر بحق اية حكومة كانت ولذلك فلها الحق ان تطالب سائر الحكومات بان لا يتخذون ما يغاير شعائر المصافاة. العثمانيون لا يرغبون باخلال ترقية وسعادة اي قوم كانوا ولذا فانهم لا يقبلون ان يحول بين سعادتهم ورقيهم حائل

بالرغم من الغوائل العظيمة التي تصادفنا بصورة متمادية فان الاصلاحات التي تحتاجها مملكتنا موضوعة موضع الاجراء شيئاً فشيئاً. فعلم الموجهون انظارهم على وطننا العزيز بان اصلاحنا وترقينا التدريجيين يكونان سداً منيعاً دون الحصول على اٰمالهم الغير المشروعة لذا وجهوا افكارهم الى الاستفادة من الغوائل الحاضرة لكي يمنعوا ظهور اصلاحنا وترقينا وسوء نياتهم الى ولاياتنا المجاورة لهم. وهؤلاء السرب والبلغاريون واليونانيون والجبليون الذين كانوا عرضة لبلاء العثمانيين مراراً عديدة لا يعلمون ان الارواح التي فرشها العثمانيون منذ اكثر من ستمائة سنة هي غالية وتجاهلوا ان الابين من عسكرنا المظفر اتخذا النصر حليفاً مدة الحرب الطرابلسية دون ان يكلا او يملا. وبالنظر الى تلك الاوهام والتخيلات قامت لسوق قواها العسكرية وبدأت بحشدها على رؤوس حدودنا الامر الذي اجبرني لدعوة عنوان الشجاعة ونشأة الحمية والناموس من اولادي العساكر. بناء عليه قد صدرت ارادتي السنية الملوكانية لوجود فرق النظامية والمستحفظ والرديف من دائرة مفتشي الفيالق الاول والثاني بكاملهما وقسماً من الفيلق الثالث تحت السفر فصارت المدافعة واجبة عليكم يا اولادي عن الوطن العزيز الذي حفظتموه الى الآن بدماء ابائكم واجدادكم الطاهرة واضحى من واجبكم

الاقدس ايفاء وظيفة المدافعة عن هذا الوطن المركب كل جزء منهُ من اجزاء ابائكم واجدادكم المباركين · فاحسنوا الدفاع والمحافظة عَلَى هذا الملك المشروع كي لا يكون عرضة لدوس اقدام العدو ·

ان الاعداء يجتمعون عَلَى رؤوس حدودنا متهيئين لاخذ مقدساتنا تحت وطء اقدامهم وتخليص مراتب اجدادنا من ايدينا ومحو سعادة اولادنا واحفادنا بناء عليهِ اضحى من اللازم اللازب اسراعكم يا اولادي الى الحدود وايفاء ما ذكر من حسن الدفاع عن هذا الوطن وان تقطع اليد التي تمد الى الوطن بسوء لكي يعلم العالم اجمع انكم لا تقلون شجاعة ومنعة عن اخوانكم المجاهدين في طرابلس الغرب واملي وطيد بان الحمية والشجاعة الموجودتين في ابائكم واجدادكم تصبح سربالاً لكم وان تكونوا خير خلفاء لهم والله اسأل ان يجعلكم مظهراً لنصره ليسر العثمانيون بالفتوحات الدائمة انهُ على ما يشاء قدير ·

الاستانة في ١٢ تشرين الاول سنة ٩١٣ محمد رشاد

في ساحة القتال

في ١١ تشرين الاول لعلع المدفع الجبلي عَلَى حدود تشيرناغور ولواء اشقودره وفي ١٣ منهُ اجابت الدول البلقانية جواباً لاقتراحات اوروبا السلمية انهُ يمكنها طرح السلاح اذا لبى الباب العالي الشروط الاتية :

١ً اللامركزية الادارية للولايات المسيحية ·

٢ً ان يكون ولاتها مسيحيين

٣ً مساواة المسيحيين بالمسلمين نسبة الى عددهم في مجلس المبعوثان

٤ً قبول جميع المسيحيين لكل وظائف الدولة الادارية

٥ً اخراج الاصلاح الى حيز العمل بمدة لا تطول عن الستة اشهر

٦ واخيراً قبول مراقبة الدول البلقانية عَلَى كل ما ذكر ٠

فلم يجاوب الباب العالي عَلَى هذه المذكرة بل اجاب الدول العظمى انهُ يجري فعلياً الاصلاح في مقدونيا وتراقيه لكن دون ادنى مراقبة وفي الوقت نفسهِ اجتازت جيوشهُ الحدود واعلن الحرب عَلَى البلغار والسرب في ١٦ تشرين الاول ٠ وفي اليوم ذاتهِ ترك المسيو بلافيماتز الاستانة وذهب عن طريق اشقودره وفي ١٥ تشرين الاول استولى الجبليون على توزي وقد جمعت الدول البلقانية ستمائة الف مقاتل في ساحة الحرب اما الدولة فلم تقوَ على تجريد اكثر من اربعمائة الف مقاتل هي التي لا يقل جيشها عن مليون ونصف عَلَى اقل تعديل والاسباب كثيرة منها قلة المال والزاد وسهولة النقل وعدم الاستعداد للحرب

لقد اشتبك الجبل الاسود مع العثمانية وستشتبك الدول البلقانية الاخرى معها فتتمثل لاعيننا ضروب عديدة من الشجاعة والمقاومة ٠ لانهُ ما من منكر فضل الجندي العثماني في صبره واحتماله وقناعتهِ واخلاصهِ وحسن تركيب جسده وقوة اضلاعه ٠ كما اننا لا نبخس الجنود البلقانية حقها من الاقدام والشجاعة والاخلاص والبسالة ٠ ولو القينا بابصارنا على ساحة القتال لعلمنا حقيقة صعوبة تطبيق الحركات العسكرية على القواعد الفنية ٠ ان العثمانية حينما تسد في وجه الاعداء الولوج الى الاستانة تقدر في الوقت نفسهِ ان تهاجم من وراء القوات البلغارية بواسطة ممر جبل رودوب وممر مملكة السرب عن طريق سنجق نوفي بازار ٠ لكن جيش الجبل الاسود الصغير الذي يكون وقتئذٍ حرًّا يقوى ان يهاجم موُخرة الجيش العثماني عن طريق ميتروفيتزا واسكوب ومن يمنع اليونان من ان تمد يد المساعدة للجبل الاسود عن طريق مقدونيا الثائرة باطناً في وجه الدولة العثمانية ٠ فيرى القارىء انهُ لصعب جداً تطبيق القواعد الفنية في الجيوش الحربية على ساحة القتال ولا سيما اذا كانت كهذه اما في بعض الاماكن فلا شيء افيد من تطبيق

هذه القواعد لان فائدتها اعظم من قوة ستين وسبعين الفاً من الجنود · وهو ما يسمونهُ الحيل الحربية

ان الدولة العثمانية ستضطر في هذه الحرب الى مكافحة اربعة اعداء دفعة واحدة لكنها لا تضطر الى تفرقة شمل جيشها لحماية الثلاث جهات من حدودها · فهي تقوى ان لا تترك عَلَى الحدود الا بعض الاف من الجنود المدربة التي تكافح الاعداء على كل شبر من الارض فتكتسب حينئذٍ الوقت الكافي لحشد جيوشها في تراقيه حيث تلقي بصدرها الاعداء المنهوكي القوى فتقضي عليهم دفعة واحدة · ونظن ان ناظم باشا وزير الحربية لا يتأخر عن اتباع هذه الطريقة لانها الفضلى وسنرى ما يصنعهُ في المستقبل واية خطة يتبعها ·

ان مركز الدول تجاه هذه الحرب سيكون محاطاً من جميع جهاتهِ بالاسرار هل تتداخل بعضهن في المسألة ام تترك الدار تنعي من بناها ؟ او ان المتحاربين يعرفون جيداً ويلات الحروب فيوقفون لاول معركة فاصلة رحى القتال وتملي الدولة المنتصرة على المنهزمة شروط الصلح · ام تصر وقد سكرت بخمرة الانتصار عَلَى دخول عاصمة عدوتها ؟

تلك مسائل عويصة لا نقوى عَلَى حلها · بل ندعه للزمان فهو كشاف الغيوب وان غداً لناظره قريب

الفصل الثالث

الحرب في البلقان

لقد امتدت السنة القتال الى جميع النقط العسكرية بحرارة وعزيمة لم نعهدها في الحروب الماضية ٠ اي في تراقية ومقدونية وتساليا والابيره ولم ترد البلغار والسرب ان تقتحما اولاً غمرات الموت الا بعد ان تتلقيا اول رصاصة في صدرهما من بنادق العثمانيين فانهما لم تشهرا الحرب على العثمانية بل ان العثمانية اشهرتها عليهما فاضحت هذه المعتدية ودول البلقان المدافعة عن انفسها وهي نفس السياسة التي اتبعتها المانيا في حربها مع فرنسا فانها اجبرت فرنسا على ان تشهر عليها الحرب فوقفت موقف المدافع وهو مما يساعدها على اخذ غرامة من عدوتها تعويضاً لها.

وقد اصدرت كل دولة من دول البلقان منشوراً الى امتها تحضها به على القتال وقد اخذ منشور الملك فرديناند ضجة قوية لانهُ صور لشعبهِ ان الهلال يكافح الصليب ولم نكن نظن اننا بعد في القرون الوسطى وان للديانة حتى في القرن العشرين دخل ونفوذ على السياسة لاسيما والحرب ليست بدينية بل سياسية محضة وقد كان اولى بفرديناند ان يطرق باباً اخر لتحميس شعبهِ وجيشهِ ٠ وهاك بعض ما قاله :

(لقد مضى على اعتناقنا الحرية خمس وثلاثون سنة بيد ان اخواننا الساكنين وراء جبال ريلاورودوب لم يقدروا رغماً عن مكافحتهم ان يتنعموا بلذة الحرية او المعاملة البشرية ٠ ولقد صبرنا حتى فرغت كنانة صبرنا ولم يعد بامكاننا ان ننام على وسائد الحرير تحت ظل النعمة بينما اخواننا ينامون على مرائر الشقاء تحت ظل النقمة ٠ صبرنا حباً بالسلم

ولكن لم يعد في عروقنا دم يود احتمال هذه الحالة · لذا فقد اتت الساعة التي تنبأ بها القيصر العظيم عن عملنا المجيد والتي بها نعيد بسلاحنا حقوق اخواننا المسيحيين المهضومة في العثمانية)

للحرب مرسحان عظيمان الاول في سهول ادرنه والثاني في وادي نهر فاردار في مقدونية واربعة مسارح اخر ثانوية : الاول في سنجق نوفي بازار والثاني في ضواحي اشقودره والثالث في ولاية يانيا في الابيره والرابع في لاريسا في تساليا · اما في سنجق نوفي بازار فقد استولى الجبليون بسرعة عظيمة من تاريخ ١٧ تشرين الاول الى ٢٣ منهُ عَلَى بيالو بولي وكوسنجه وبرانا حيث سفكت دماء العثمانيين بغزارة · وبلغت قتلاهم ٧٥٠ اما الجبليون فلم يخسروا الا ٥٠٠ قتيل رغماً عن كونهم المهاجمين واستولوا على توزي وهومه وحاصروا قلاع طرابوش مفتاح اشقودره غايتهم الوحيدة :

اما اليونانيون فلم يأتوا بعمل يذكر وجل ماهناك ان الجيش اليوناني الثاني كان يتقدم ببطء نحو يانيا غير ان الجيش الاول تحت قيادة ولي العهد قد تمكن من اخذ ايلاصونه واخذ يتقدم نحو سرفيا ومضائق بترا حيث جمع الجنرال رضا باشا تلميذ فوندرغولتز باشا المحبوب قوات عظيمة منتظراً جيش اليونان ·

اما في مقدونية فزحف جيش سربيا من نيك الى فرانجه وعدد عساكرها ١٣٠ الف جندي ماشين نحو اسكوب وقاصدين احتلال بريشتينا وميترفيتزا على طريقها وتقدم جيش ثالث مؤلف من ٧٠ الف عسكري بين سرب وبلغار قاصداً قسطنديل ومعرجاً عَلَى اكري بالوكا حيث تجمعت الجنود العثمانية بكثرة ·

واما في الجهة الثانية من وراء جبال رودوب حيث يمثل هناك ابطال الرواية روايتهم فكان يوجد جيش عظيم من البلغاريين يبلغ ١٥٠ الفاً

هاجم الجيش العثماني بقوة في اودية ماريتزا وستروما وتروندجا ودحره وذلك في ١٦ تشرين الاول ٠ وفي ١٨ منه اجتاز الحدود العثمانية في عنق كول كوى حيث يعطي ممراً الى وادي اردا وهو نهر صغير ينضم الى الماريتزا تحت ادرنه واستولى في اليوم ذاته على مصطفى باشا وجسره الكبري العظيم ، حيث وقف تجاه اول حصن من حصون ادرنه ٠

وتوجه جيش اخر من وادي توندجه نحو قرق كليسه وكان البلغاريين يريدون ان يتقدموا نحو الاستانة باقصر طريق متجنبين ادرنه وحصونها لان ادرنه هي احصن مدينة في المملكة العثمانية وقلاعها مبنية على اخر طرز اوروبي ممتدة على مساحة لاتقل عن اربعين كيلو متراً وبها من العساكر ستون الفا بقيادة شكري باشا ويكلف البلغاريين اخذها كثير من العساكر والوقت ولربما يهملها الملك فرديناند وقائده العام سافوف واضعين امامها قوة تبلغ السبعين الفا منعاً لحاميتها من الخروج ٠ وقد شعر ناظم باشا بهذه الخطة فحشد وراء اول حصون ادرنه ١٣٠ الف جندي مستعدين لمنازلة البلغاريين حين ظهورهم ٠ وقد اخذ كل من الاثنين يستعد استعداداً تاماً لمعركة قرق كليسه وهي الاولى لانه حتى الآن لم يجرِ الا بعض مناوشات لاقيمة لها ٠

اما في البحر فابتدأت ايضاً بعض المناوشات ٠ ولا يسعنا ان نحكم على افضلية هذا الاسطول او ذاك ٠ لان اليونان وحدها من كل الدول البلقانية لها اسطول منظم اما البلغار فلها قطع صغيرة في البحر الاسود لايعتد بها فذهب الاسطول العثماني الى البحر الاسود وهو بقوته قبل حرب ايطاليا فضرب فارنه ، و بورغاز ، وكافارنا في ٢٠ تشرين الاول واعلن حصار الشواطيء البحرية البلغارية ٠

اما الاسطول اليوناني فحصر بريفيتزا وانزل جيشاً صغيراً في جزيرة ليمنوس وقد استعملها كاساس لحركاته البحرية ٠

معركتا قرق كليسه ولولوبرغاس

بينا كانت الجيوش السربية واليونانية تتقدم في مقدونية مستولية عَلَى مسرفيا وكيمانوفو تقدمت الجنود البلغارية حتى مدينة قرق كليسه الحصينة وباتت تلك الليلة هناك مستعدة لمعركة الغد وثاني يوم ابى الجنرال ديمتريفان ينازل الجيوش العثمانية بل اجلها الى ثالث يوم ليعد المعدات اللازمة لهذه الموقعة الكبيرة والاولى مع العثمانيين ولما استبطأ عبد الله باشا القائد العام تقدم العدو عقد مجلساً حربياً في النهار ذاتهِ اي في ١٩ تشرين الاول قرر فيهِ مع اركان حربه ان يخدعوا العدو ويأخذوه بحيلة حربية فقضوا عليه لذا كلفوا القائد عزيز باشا المصري ان يزحف في اليوم نفسهُ اي في ١٩ تشرين الاول بعشرة آلاف جندي من جهة الغربية من المدينة ويناصب الاعداء القتال ثم يتقهقر رويداً رويداً ويدخل المدينة من الجهة الشرقية فيتبعهُ العدو فيهجم عليهم عبد الله باشا بجنوده من الجهة الغربية ويغير البرنس عزيز باشا خطتهُ من التقهقر الى الهجوم فيقع البلغاريون بين نارين فيفنون عن آخرهم وهي نفس الخطة التي اتبعها الجنرال كورباتكين في منشوريا في معركة لياويانغ والتي انكسر بها اشأم كسرة لعدم دربة احد قواده ·

وفي الساعة الثامنة من ذلك النهار اي بعد غروب الشمس قام البرنس عزيز باشا بعسكره وتوجه نحو المعسكر البلغاري بعد ان خطب في جنوده وشجعهم على مقاتلة العدو والفتك به · غير انه ما كاد يقترب منهم حتى رأى قوة اكبر من قوته فاوقف السير وعقد مجلساً في الحال فقرَّ قرار القواد والضباط ان يرجعوا القهقرى لانه يستحيل عليهم القيام بمهمتهم دون ان يفقدوا نصف العدد الموجود معهم · وشعر البلغاريون بقدوم البرنس عزيز باشا وجيشهِ بواسطة حرسهم فاطلقوا النار عليهم ولعامت

مدافعهم بشدة في ذلك الليل البهيم . فهب عبد الله باشا مع قواده وجنوده ليهجم على العدو و يفنيه طبقاً للخطة التي وضعها مع البرنس عزيز باشا.

ولم يتمادَ به السير حتى سمع وقع حوافر الخيل فأمر رجال المدفعية باطلاق النار وهجم مع معسكره ودارت رحى القتال من كل جانب ومكان وما كان ذلك العدو الوهمي لسوء الحظ الا البرنس عزيز باشا كانت غوائل هذا الالتباس و بيلة لانها ضعضعت الخطة التي كان قد وضعها القائدان ومهدت للعدو سبل الدنو من العساكر العثمانية ولم يمض ردح من الزمن حتى طبقت عليهم الجنود البلغارية فولوا الادبار وتسابقوا الى الفرار وعبثاً كان القواد والضباط يأمرونهم بالهجوم فلم يمتثلوا امراً لان الرعب في ذلك الليل كان قد اخذ منهم مأخذاً عظيماً حتى التزم الضباط ان يقفوا في طريقهم ويجردوا سلاحهم و يقتلون كل من يخالف لهم امراً . الا ان القواد ذواتهم لما رأوا تكاثر الاعداء انهزموا وتركوا تلك الحصون المنيعة غنيمة باردة للاعداء . ولم يشهد التاريخ العثماني معركة اشد هولاً وخذلاناً من هـذه المعركة . ولكن ما ذنب الجنود ؟ فما هي الا ابطال تخوض الوغى وآلة تدار بادمغة الرجال العظام والقواد . فان ما كان من ثم انخذال فيقع بالدرجة الاولى على القواد الذين لم يحسنوا عملاً ولم يستدركوا الامر قبل وقوعه وكان الاحرى بعزيز باشا ان يخبر مع رسول عبد الله باشا بخطته فكان خلص بعمله هـذا الجنود والعساكر و بالاحرى الشرف العثماني . وقد دامت المعركة ثلاثة ايام متوالية وفي اليوم الثالث دخل البلغار يون قرق كليسه في ٢٣ تشرين الاول فوجدوا بها كثيراً من المؤن والذخائر والبنادق والمدافع وفي اليوم عينه تتبعوا اثار العثمانيين الذين نقلوا جيشهم الى فيزا وجرت معركة هناك تشيب لهولها الولدان اماطت بها مدافع كريزو الافرنسية اللثام عن حقيقة مدافع كروب الالمانية وكان النصر فيها لمدافع البلغاريين وقد شعر العثمانيون

انهم خدعوا بفنونهم الحربية حتى وبسلاحهم ايضاً ٠

ولما رأى عبد الله باشا ان لاصبر له عَلَى المقاومة انتقل الى معاقل اسكي بابا حيث جرت موقعة عظيمة انتهت ايضاً بفوز البلغاريين واستولوا على الخط الاول الدفاعي في ادرنه ولم يبق لديهم الا بعض كيلومترات ليصلوا الى محل الجيش العثماني الكبير الضارب من ديموتيكه الى لولو برغاس على ضفة نهر ارجين ٠

وفي اليوم الثالث اي في ٢٦ تشرين الاول هجم البلغاريون عَلَى اسكي بابا واستولوا عليها بعد قتال عنيف وقد قبضوا بانتصارهم هذا على اعنة السكة الحديدية الموصلة ادرنه بالاستانة ففرقوا الواحدة عن الاخرى ومنعوا كل مواصلة بينهما ٠ ثم رأوا ان يضعوا امام حصون ادرنه عدداً من جيشهم لمحاصرتها وطلبوا لذلك المدد من الجيش الثاني البلغاري ولما اتتهم النجدات تركوا ستين الفاً امام ادرنه وواصلوا سيرهم بسرعة غريبة قاصدين لولو برغاس قلب الجيش العثماني ٠

معركة لولو برغاس

بعد معركة قرق كليسه وانهزام الجيوش العثمانية راى عبدالله باشا انهُ يستحيل عليهِ البقاء في خط قرق كليسه — بوستنلي فعقد النية ان يتقهقر حتى خط بونار حصار ولولو برغاس ليجهز جيشهُ ويشدد عزائمهُ وينتخب محلاً موافقاً للدفاع عنهُ

في ٢٤ تشرين الاول لدى الساعة الحادية ونصف اصدر عبد الله باشا اوامره الاتية : يتقدم الفيلق الثالث حتى بونار حصار والثاني حتى كافا كلي كاره اغاج والاول حتى سلطان تشيفليك والرابع حتى بابا اسكي ولولو برغاس ويبقى الخيالة في اولو باشا تشيفليك ليحموا جناح الجيش العثماني الايسر ٠ ولسوء الحظ حصل سوء تفاهم باجراء الاوامر فاخذ الفيلق الاول

طريق الفيلق الرابع وقسم من الفيلق الثالث ذهب لقرب لولو برغاس وبواسطة هذا التضعضع تركت مدافع عديدة بذخائرها عَلَى الطريق · اما القيادة العامة فكان مركزها في تشورلو ·

قضى عبد الله باشا ليل ٢٧ و ٢٨ تشرين الاول في اصدار الاوامر وتكميل خطته الحربية لكن القواد والضباط تمردوا وابوا تتميم الاوامر بحجة ان الجيوش منهوكة القوى وانهُ ليس من العدل ان يتركوا للعدو ارضاً هكذا فسيحة دون قتال او نزال وان ذلك التقهقر يوقع سوء السمعة والخيفة في قلوب الاهالي والعساكر فاجابهم عبدالله باشا «ان اصدعوا لقد اعطيت الاوامر فلا اطلب غير تتميمها» ولكن يا للعجب ففي ليل ٢٩ منهُ تلقي قواد العساكر امراً من مركز الجيش العام يقضي عليهم بان لا يحركوا ساكناً وان يظلوا في لولو برغاس ينتظرون قدوم الاعداء وهو ضد الامر الذي اصدره عبد الله باشا وتمرد القواد لاجله وما كان ذلك الامر الا من فوندرغولتز باشا الالماني وعليهِ ابتدأت المعركة دون ارادة المشير واوامره رغماً عن كونهِ الرئيس الاول للقيادة العامة في جيش الشرق ·

بيد ان البلغار بين بعد معركة قرق كليسه اخذوا يتتبعون اثار العثمانيين دون ان يروا لهم ظلاً فاخذوا يتلمسون طريقهم دون ان يعرفوا مقرَّ عدوهم ·

وفي ٢٤ تشرين الاول صدرت الاوامر الى الجيش الاول البلغاري بان يتقدم الى سيليولو والى الجيش الثالث بان يصل الى خط ينيدجه — اسكوبدره · والى الجنراليين نازليموف ورادكو ديمتريف بان يتقدما الى يني محله — اسكوبدره · وفي ٢٥ تشرين الاول غارت خيالة الجنرال نازليموف على بابا اسكي فاستولت عليها دون ادنى مقاومة وقبضت عَلَى قطار موَّلف من مائتي عربة واربع قاطرات مملوءات موَّناً وذخائر · واذ كان يجهل مركز العثمانيين قسم جيشهُ الى ثلاثة اقسام فذهب الاول الى

ايروبول والثاني الى رودستو والثالث الى تشوربو اكتشافاً لمقر العثمانيين. اما الاول والثاني فلم يعثرا عَلَى شيء ورجعا اليهِ واما الثالث فاشتبك بالمعركة ريثما وصلتهُ النجدات. ولو وهبت الطبيعة الجيش العثماني قواداً يبدون الحذاقة في الفنون الحربية ويعيدون لحطموا البلغار تحطيماً لا سيما في تلك الساعة التي كانت قوى الجنرال نازليموف متشتتة وعساكر الجنرال ديمتريف متفرقة لا تعرف اين تستقر في ذلك الوقت لو هجم العثمانيون عَلَى البلغار بين السائرين عَلَى غير هدى في الوديان وعَلَى رؤوس تلال وجبال لاوهنوا عزائمهم وابلوا فيهم بلاءً حسناً. ولكن...

وقد التقى الجيشان اخيراً في حرش سودجاق فبلغ جيش البلغار ١١٥ الفاً وجيش العثمانيين ٨٥ الفاً وكان مقسوماً هكذا: الفيلق الرابع تحت قيادة احمد عبوق باشا في لولو برغاس والفيلق الاول تحت قيادة باور باشا في قرية تورك بك والفيلقان متصلان ببعضهما. والفيلق الثاني تحت قيادة شوكت طورغود باشا في بونار حصار والجناح الايمن كان تحت قيادة صالح باشا سر اركان حرب جلالة السلطان. وقد انزل ٣٠ الفاً في ميديا فزحفوا على فيزا ونجحوا نجاحاً باهراً تحت قيادة ناظم باشا وزير الحربية

وفي ٢٩ منهُ ترك عبدالله باشا تشورلو واتى الى لولو برغاس حيث دعم بجيشهِ الجناح الايسر العثماني. وفي الساعة الثانية ونصف بعد الظهر ابتدأ البلغار باطلاق المدافع حتى المساء. اما محمود مختار باشا فزحف بجيشهِ عَلَى البلغار بين وهزم الجناح الايسر منهم بروؤس الحراب ثم اعاد الكرة مرة اخرى فهزم المشاة شر هزيمة وهكذا انتهى اليوم الاول بفوز العثمانيين

وفي ٣٠ منهُ زادت النيران استعاراً والقتال اضطراماً واستولت فرقة بلغارية عَلَى لولو برغاس. فعلم بذلك احمد عبوق باشا لدى المساء فزحف اليها واسترجعها بعد ان كبد الاعداء خسارة عظيمة واضحت الفرقة الخامسة

البلغارية والجيش الثالث مهدداً من الجناح الايمن العثماني الذي اخذ نوعاً بتطويقهِ وهكذا اضحى الفوز بجانب العثمانيين . لكن اختلاف القواد والحاجة الماسة الى الخبز والغذاء وفراغ الذخيرة من المدافع العثمانية اوقع الجيش في ارتباك هائل .

ولدى الساعة التاسعة ليلاً استولت فرقة من الجيش والمدفعية البلغارية عَلَى موقع تورك بك . وفي الساعة السابعة صباحاً من نهار ٣١ تشرين الاول استولى ايضاً البلغار عَلَى لولو برغاس وهزموا جيش الدردنيل وارسل الساعة الثامنة الفيلق الرابع يعلم عبدالله باشا ان العدو اخذ بتطويقهِ فامره عبدالله باشا ان يحتفظ جيداً بمركزه رغماً عن كل الموانع وانهُ سيجبر العدو الى تغيير حركته وان النصر متوقف على ثباته لكن الفيلق المذكور ترك موقعه وانسحب الى تشامور رغماً عن الاوامر المعطاة له بالدفاع عن مركزه حتى النهاية . فتقدم اذ ذاك البلغاريون مخترقين صفوف الجناح الايمن فانسحبت فرقة اوشاق الى الوراء وترك قائد الفيلق الثاني مركزه وانسحب ايضاً الى الوراء تاركاً موقعهُ بين ايدي البلغاريين وانهزم ايضاً محمود مختار باشا من امام العدو تاركاً عدداً عظيماً من القتلى والجرحى ولاجئاً الى تشونفيرلي .

فاغتنم البلغاريون هذه الفرصة وساعدتهم مدفعيتهم فهجموا هجوماً عمومياً على الصفوف العثمانية و بددوا شملهم واستولوا على تشورلو فتقهقر العثمانيون من كل جهة وتركوا جميع مراكزهم وتحصنوا في شاطلجه . ولما رأى ناظم باشا ذلك وانهُ اضحى محاطاً بالاخطار ترك فيزه وتحصن بجيشهِ ايضاً في شاطلجه . اما البلغاريون الذين كانت هذه الموقعة قد انهكت قواهم فتركوا العثمانيين يتحصنون دون ان يتبعوهم ولو فعلوا لربما كانوا دخلوا دون مقاومة كبرى الى الاستانة . وهكذا انتهت هذه المعركة الفاصلة في ٢ تشرين الثاني . بفوز البلغاريين وانهزام العثمانيين .

وقد بلغت خسائر العثمانيين عشرين الف قتيل في لولو برغاس وخمسة عشر الفاً في قرق كليسه وسبعة الآف جريح في الثانية وخمسة في الاولى وخسروا اربعمائة مدفع وعدداً كثيراً من المؤن والذخائر ٠ وبلغت خسائر البلغاريين في الاولى اربعة الآف قتيل وخمسمائة جريح وفي الثانية خمسة عشر الف قتيل وخمسة الآف وسبعمائة جريح ٠

في الجهة الثانية من ادرنه

ذكرنا ان الاعداء استولوا على سرفيا وكيمانوفو فوضعوا تقريباً ايديهم بواسطة هاتين المعركتين على جميع مقدونية ٠ وثمل اليونان بخمرة النصر فتقدموا لجهة سالونيك وقد ساعدتهم ثورة الاهالي على العثمانيين فاخلوا لهم الاماكن العديدة وقدموا لهم زاداً ومؤناً وذخائر ٠

ان جيش اليونان الذي كنا نحتقره في الايام الماضية ولا نحسب له حساباً قد اظهر من مضاء العزيمة في هذه الحرب المشؤومة ما جعلنا ان ننظر اليه باعجاب وحقيقة الأمر ليسه ذاك الجيش الذي كان يشمر عن ساقيه للريح في حرب سنة ١٨٩٧ في موقعة لاريسا ٠ وذلك لان اليونان اصلحت احوالها بعد تلك الحرب التي ذاقت بها الهوان من فرسان ادهم باشا فعهدت الى الجنرال الافرنسي ايدو بتنظيم احوال جيشها على آخر نمط اوربي لذا جنود علي رضا باشا رغماً عن البسالة الفائقة التي ابدتها والشجاعة التي خولتها مدح واطراء الصحف الاجنبية لم تقاوم كثيراً امامها فتركت لجيوش اليونان البالغين ستين الفاً بقيادة ولي العهد قسطنطين ممر تساليا حيث دخلت منهُ الى مقدونية واستولت على ساراندبوروس وسرفيا وقوزاني ٠ وفي الوقت نفسه كانت تتقدم الجيوش اليونانية الموجودة في الابيرة مجتازة جبال البند وواضعة الحصار امام يانيا ٠ وهكذا تمَّ للجيوش اليونانية ان تلتحم مع بعضها وحقها ان لاتفعل لو وجد في العثمانية

قواد يبدون البسالة و يعيدون لجنودهم ٠

اما في سهول الفاردار فتأخرت الجيوش السربية عن السير لمكافحة العثمانيين لها والانتصار عليها مراراً عديدة ولهجوم الارناؤوط على استحكاماتها والفتك بها ولوقوع الثلج الغزير بجوارها٠ ولما رأت انه يصعب عليها كثيراً السير واقتحام الجيوش العثمانية المرابطة في تلك النواحي طلبت مدداً من بلغراد فاتاها جيش عديد فجمعت قواها وانتصرت على العثمانيين فى نيك وفرانجه وقسطنديل ولا عجب فقواتها اضحت تفوق كثيراً قوات العثمانيين وحينئذٍ افترقت الى اربعة جيوش يتركب الواحد منها من اربعين الف جندي ومشت على ستيانيتزا فاستولت عليها و اجتمعت بجيش الجبل الاسود وهكذا اصبح الجيش الجبلي جيشاً واحداً مع الجيش الثالث السربي فاتفقا ان يأخذا ايك و بعد حصار عشرة ايام دخلوا المدينة منتصرين

اما الجيش الرابع السربي فاستولى بعد قتال عنيف ومدة لا تقل عن العشرين يوماً بقيادة الجنرال ميشال جانكوفيتش عَلَى نوفي بازار واخضعوا السنجق جميعه في ٢٢ تشرين الاول ثم بعد مناورة خفيفة وحركة عسكرية فنية اجتمع الجيشان السربيان الثاني والثالث ودخلوا كيمانوفو بعد مقاومة اعترف بها السربيون بشجاعة الجندي العثماني و بسالتهِ وصبره عَلَى المتاعب وتحقق الاعداء انه لو كان للجنود العثمانية ما للجنود البلقانية من الراحة والمأكل وسعة العيش لانقلبت الاية وفاز العثمانيون فوزاً مبيناً وبواسطة هذا الانتصار تمكنت الجيوش السربية الاربعة من اودية ايبار وموراڤا وقسطنديل وكيمانوفو من الانضمام الى بعضها٠ فقضت بضعة ايام في كيمانوفو للراحة ثم ذهبت الى اسكوب فدخلتها دون محاربة وقتال بتسليم قائدها رقي باشا مع عشرة الاف اسير وستين مدفعاً وكثير من المؤن والذخائر في ٢٩ تشرين الاول فجلس الملك بطرس الاول عَلَى منصة الحاكم بفخر ومجد لم يسبقه اليهِ احد لان اسكوب كانت عاصمة

السرب القديم فسرّ السربيون كثيراً واقاموا الحفلات العظيمة في بلغراد اظهاراً لسرورهم من امتلاكها .

فلما رأى كامل باشا انكسار الجيوش العثمانية في كل ناحية ومكان علم انه فقد كل امل بالانتصار فاستدعى اليه ناظم باشا ونوردنجيان افندي وزير الخارجية ورشيد باشا ناظر الداخلية وتباحث معهم في امور الدولة فابان ناظم باشا مع مزيد الاسف حالة الجيش الادبية والمادية وانه ليس بوسعه الانتصار في الوقت الذي لاقوت للجنود ولا زاد فضلاً عن الرعب الذي استولى عليهم من تكرار الانهزام وتفوق الاسلحة البلقانية على اسلحة جنوده وعدم استعدادها للحرب فيما ان الاعداء اخذوا من سنين باعداد المعدات اللازمة للقتال . فدمعت عينا كامل باشا وقال (اشهد بالله انني لم ارد الحرب منذ البدء وكنت ميالاً الى اعطاء ما يطلبه البلقانيون مع بعض التعديل فهو اهون لدينا من هذه الخسارة الجسيمة . وكم ابنت للوزارة المختارية من الاسباب فلم تقتنع الاكثرية)

وقرر قرار الوزارة ان ترسل مذكرة الى الدول الاوروبية لتسعى مع البلقانيين في عقد هدنة لمداولة بامر الصلح . فوعدت كل من انكلترا وفرنسا بصنع جهدها واخذتا تسعيان في تحقيق امنية الوزارة العثمانية . غير ان النمسا كانت تود حمل العثمانيين على مداومة القتال علهم ينتصرون بعض الانتصارات الكبيرة فيرجعون البانيا وسنجق نوفي بازار . لذا لما اعلن المسيو بوانكاره انه يجب على الدول المداخلة في امور الصلح قامت صحف النمسا وقعدت وصرحت انهُ اذا كان لابد منهُ فهي تطلب وتسعى بكل قواها لاسترجاع البانيا وسنجق نوفي بازار الى العثمانية وقد ابدت من الميل والانعطاف اليها مالم تعهده بها في حادثة البوسنه والهرسك وضمها الى بلادها . ولكنها لاتود الحاقها بالدول المتحالفة ليس حباً بالعثمانية بل حباً بنفسها اذ تعتقد كل الاعتقاد بانهما سيصبحان يوماً ما في حوزتها

اذا ارجعتا الى العثمانية ·

سبب فشل العثمانيين

لقد فشل هـذه المرة العثمانيون ايما فشل وتفرقت عساكرهم بعد لن استولى عليها التعب والخوف والهلع · وقد ظنوا بادىء بدء انهم يستطيعون ايقاف تيار البلغاريين في موقعة لولو برغاس نخاب املهم ولم يكن الانتصار بعيداً عنهم في هذه المعمعة لو كانوا يملكون كفاية من المدافع والذخائر ما يثبت قدمهم في تلك الحرب الضروس · بيد ان الحصون لم تخلص بلاداً من هجوم الاعداء عليها فهذه بور ارثور وسباستبول وغيرها من المدن المحصنة التي لم تشف علة ولم ترو غلة وهذه ادرنه لم تدراء عن العثمانية خطراً يهدد جيشها · اجل انها اشغلت قسماً من البلغاريين ولكنها لم تصد عنها هجمات الجيوش المتحالفة وزى الحصن بسقط اثر الحصن والقلاع تتلو القلاع وان لم يتمكن البلغاريون من الاستيلاء عليها الآن فلا تلبث ان تسلم اليهم يوماً ما لان التجربة علمتنا ان المدينة المحصورة لا بد لها من السقوط ان لم يكن اليوم فغداً ·

وقد علم البلغاريون هذه القاعدة فاتبعوها فعوضاً عن ان يمكثوا زمناً طويلاً امام ادرنه واضعين جميع قواتهم تجاهها تاركين العثمانيين يحشدون جنودهم في لولو برغاس مستقبلين المدد الاتي لنجدتهم من برّ الاناضول او من سوريا تركها الجنرال ايفانوف بعد ان وضع امامها عسكراً جراراً منعاً لحاميتها من الخروج وانضم مع الاربع فرق من عسكره الى رفيقه الجنرال ديمتريف ليصليا العثمانيين ناراً حامية تاركين الجبال والاودية ليجرا اعداءهما الى السهول حيث يتمكن الجيشان من اجراء الفنون الحربية براحة كلية وقد اتبعا هذه القاعدة فكان النصر حليفهما · وقد اعلن الحلفاء منذ ابتداء الحرب انهم لا يودون القعود عن العمل بل التشمير

عن ساعد جدهم ونشاطهم للاستيلاء عَلَى مايرغبون الحصول عليه وما يتوقون اليه ·

لذا اخذ البلغاريون خطة الهجوم عوضاً عن الدفاع لان الجيش مهما كانت قواه ضعيفة فيقوى بواسطة هذه الحركة مع قليل من الحزم والبسالة ان يبث الرعب في قلب عدوه و يضعف من قوتهِ المعنوية · او لم تعلمنا الحرب الروسية اليابانية ماللخطة الهجوم من المنافع العديدة فنحكم اذاً بكل عدل وحق ان الجيش المهاجم يكون غالباً منتصراً والمدافع مغلوباً ·

اين انتصر الروسيون في منشوريا وماذا نفعتهم خطة كورباتكين الم يظلوا يتقهقرون حتى موكدن · وهل استرجعوا مافقدوه بتقهقرهم ؟ اجل ان تقهقر الروسيين سنة ١٨١٢ كان ذا فائدة لهم ولكن الظروف التي وجدت آنئذٍ كثلوج روسيا وحريق موسكو لاتتأتى في كل ساعة للانسان

ان الملك فرديناند لم يقلق عَلَى عاصمته مع انها كانت مهددة من شواطئ البحر الاسود بل تقدم الى الامام جاعلاً الاستانة نصب عينيه · وغايتهُ الوحيدة كانت ابعاد كل مايعوقه عن انضمام جيوشهِ الى جيوش محالفيه · فهل كان الدافع له يا ترى على اتباع هذه الخطة البسالة او الجراءة فقط ؟ لا ذا ولا ذياك بل مطابقة الفنون الحربية على الظروف الحاضرة او بالحرى الجرى على مبادئ نبوليون الاول الحربية القائلة · اسرق الوقت لتكون اقوى من خصمك في ساعة لاينتظرها · وقد كان السبب الاول لفشل العثمانيين في هذه الحرب المشؤومة عدم اتقان القواد للفنون العسكرية الحربية لان الجيوش العثمانية هي اقوى ادبياً من الجنود البلغارية فعوضاً عن ان يجمعها عبد الله باشا في نقطة واحدة و يترك بعض الوف تقاتل الجيش البلقاني الاقل اهمية ويهجم منها على كل دولة من الاعداء فيسحقها ثم يرجع الى الثانية والثالثة والرابعة كما كان يفعل نبوليون الاول في جيوشهِ

قسم جيوشه في نقط مختلفة بنوع ان كل فئة اضحت اقل عدداً من اعدائها والكثرة يقول المثل تغلب الشجاعة • فلو كانت كل الجيوش العثمانية منضمة الى بعضها لما تمكن الاعداء من الانتصار عليها لان القوة بالاتحاد ولكان اول نصر احرزتهُ الجنود العثمانية الق السلاح من ايدي المخالفين لانهم كانوا يخافون كثيراً من الدولة العلية • بيد ان انتصارهم الاول في قرق كليسه قوى قلوبهم وبث عدم الخوف في عروقهم وايقنوا ان الدولة التي يحاربونها اليوم هي غير الدولة التي كانوا يخافون منها بالامس •

ان الجيش العثماني لم يكن جاهلاً ما يعدونهُ في البلقان ضده فكان الاحرى بقواده بعد ان علموا ضعف تشكيله وعدم اتقان تجهيزاته العسكرية ان يتيقنوا انهُ لم يبقَ لهم الا امل واحد في النجاح وهو حشد جيوشهم كلها دفعة واحدة امام ادرنه ثم مستغنمين من جودة مراكزهم فيهجمون على الجيش البلغاري فيهزمونهُ ثم يعيدون الكرة على كل جيش بمفرده الاقل عدداً منهُ فيتم لهم النصر • لكن كان يلزم لذا اولاً معرفة الفنون العسكرية التامة ثانياً الارادة • وقد ظهر للملا ان القواد العثمانيين بحاجة كلية الى هاتين الحاجتين • وكان نتيجة تألب هذه الهفوات خسارة مقدونيه وقرب سقوط سلانيك وتفرق شمل الجيوش العثمانية هنا وهناك حتى اضحى من المستحيل عليها الان الانضمام الى بعضها فهي عرضة لهجمات البلقانيين ولنيرانهم • ان الغصن الفرد اذا لويتهُ انكسر ولكن يصعب عليك كسر حزمة من الاغصان المتجمعة سوية •

وهنا لا اتمالك من ابداء عاطفة حزن نحو بلادي البائسة وهي اني لما رأيت السلاح العثماني شعار المجد والفخار ملقياً على الارض وتلك الجثث المعفرة بالتراب وقد علا وجهها صفرة الانخذال قلت اعشت لارى هذا الحلم الهائل والانقلاب العظيم ؟ ! • • •

وهنالك سبب عظيم وخطأ فادح وهو التسليم الاعمى للتعاليم الالمانية آه كم يجب على العثمانيين ان يعضوا اصابعهم ندماً لاعتقاداتهم بافضلية سلاح المانيا وتعاليمها بينا كنا نرى البلقانيين لم يعقدوا اواصر العزيمة على المدافع الافرنسية الا بعد ان تبينوا افضليتها على المدافع الالمانية اما نحن فلكون اساتذة جيشنا المانيين اخذنا كل ما نحن بعازة اليهِ منها سواء كان موافقاً لنا او لا حتى اتت الايام كاشفة لنا القناع عن الاوهام ولكن وا أسفاه لم نفق الا بعد ان راينا الاعداء على اسوار عاصمتنا . لقد قدسنا فون درغولتز باشا وجعلناه مشيراً و باشا ورئيساً لجيشنا واليهِ سلمنا قيادنا فكافأنا بهذه المكافأة الجميلة . اهذه ثمرة تلك الاتعاب ؟ مع ذلك فلنبارك الالمانيين لانهم اساءوا الينا والى انفسهم عن غير قصد .

ومن اسباب انخذالنا ايضاً تفوق الاسلحة البلقانية على الاسلحة العثمانية والاولى شغل فرنسا والثانية شغل المانيا فقد تبين حتى لالمانيا ذاتها افضلية سلاح معامل فرنسا على سلاح معامل المانيا ولولا هذه الافضلية لكنا وايم الحق نبتسم حتى للامال . فاين كروب من كريزو واين الموزير من منليشر و بندقية ليبيل

البلقانيون تلامذة مدارس فرنسا ونحن تلامذة مدارس المانيا فلنحكم اينا اقدر بالفنون الحربية . بيد ان التعليم الالماني لربما يكون حسناً في ذاتهِ غير انهُ من المقرر انهُ لا يوافق مشرب جيشنا ولا نظام بلادنا .

والذي جعل النصر حليف البلقانيين اقدام كبيرهم وصغيرهم عَلَى وجود تلك العاطفة الوطنية في صدورهم لحصول عَلَى مآربهم وان كانت غير معقولة وعادلة . فمن كان يظن ان العثمانية التي تقوى عَلَى تسليح مليون ونصف من الجنود لا تستطيع جمع اكثر من اربعمائة الف عسكري فقط ومن كان يظن ان الدول البلقانية التي لا تستطيع ضم اكثر من ستمائة الف مقاتل يبلغ عددهم قريباً السبعمائة الف مقاتل ؟ نرى هناك الاهالي

تاركين اباءهم واخوتهم وعيالهم ذاهبين الى الحرب بنوع انهُ لم يبق في الاصقاع البلقانية سوى الاطفال والنساء والشيوخ

بينا نرى القطارات الحديدية العثمانية لا تحمل الا جنود الحكومة وعدداً لا يذكر من المتطوعين. اجل ان من يقرأ الجرائد العثمانية ويقيد احصاء الذين طلبوا التطوع في الجيش العثماني يجد ان عددهم لا يقل عن الثمانين الفاً. فكم ذهب منهم الى ساحة القتال؟ خمسة الاف فقط! كان حتم علينا ان لا نقرن القول بالعمل وان لا تتعدى مظاهراتنا جدران المنزل. وبينا كنا نرى البلقانيين يجودون بما لديهم من الدراهم مع فقر حالهم الى الجنود كنا نجد اغنياءنا اللهم الا عدد قليل من المصريين كسعادة عمر طوسون باشا وبعض افراد العائلة الخديوية وغيرها وبعض الافاضل يحولون وجوههم عن جباة الاموال كأن الوطن ليس بوطنهم

ولما اشهرت الحكومة الحرب عَلَى البلغار بين والسربيين هل كانت عَلَى قدم الاستعداد لها. كلا. لان ناظم باشا وزير الحربية ابى اعلانها كذا فعل كامل باشا اما الاكثرية فطلبت الحرب وقد ارتكبت الحكومة غلطة كبيرة اذ كيف اعلنت الحرب دون ان تكون مستعدة لها. اما كان الاولى بها ان تسلم بمطالب البلقانيين المجحفة لما رات حالتها وماليتها. الم ترَ باعينها ما اصاب فرنسا سنة ١٨٧٠ في حربها مع المانيا وروسيا سنة ١٩٠٤ مع اليابان

ولا ندع جانباً عدم وجود الذخيرة الكافية والاموال اللازمة والمون المعدة. لقد كتب مراسل التيمس عن ساحة الحرب قال: قابلت عبدالله باشا ثاني يوم موقعة لولو برغاس وسالتهُ عن الاسباب التي اخرت انتصار العثمانيين فاجاب مشيراً الى شيء عَلَى سريره.

انظر الى هذه القطعة البالية الجافة من خبز الذرة فهي قوت لعبدالله باشا المشير لمدة ٢٤ ساعة فتعلم منها ما هي موءونة عساكرنا وانفار جنودنا

ومما جعل البلقانيين يتفوقون علينا ضيق بلادهم وصغرها مما ساعدهم عَلَى سرعة حشد عساكرهم واتساع الاراضي في المملكة العثمانية وعدم وجود سكك كافية لنقل الجنود وتأخيرهم في الطريق وبطيء سيرهم وقلة الوقت الكافي لحشد العساكر واهمال القواد والضباط وظائفهم وتداخلهم بالسياسة · وهناك اسباب اخر ندعها جانباً لضيق المقام

الجندي العثماني

للجندي العثماني قوة معنوية كبيرة في قلوب عارفيهِ لانهُ اشتهر بالبسالة والشجاعة في مواقف القتال وذهبت قوتهُ كمثل تتناقله الركبان في كل صقع ومكان · وقال عنهُ نبوليون الكبير : لو كان لي ثمانمائة الف جندي عثماني لغزوت اوروبا جمعاء في اقل من سنتين · ولكلام نبوليون معنى كبير لو فطن اليهِ الناقدون : وهو ان الجندي العثماني ممتاز عَلَى جميع جنود العالم بصفاتهِ الحربية الجميلة بيد ان تلك القوة ينقصها يد تديرها هم القواد فلو كان نبوليون في العثمانية لاكملت القوة بين الجندي والقائد

كان يتألف الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٦ من فرق مختلفة وقد ابادها المغفور له السلطان محمود الثاني قبل ان يخرج ما كان يجول في فكره الى حيز العمل ولا حاجة لنذكر كيفية قتل اربعين الفاً من الانكشارية من الجيش الاول النظامي العامل فقط لان الجيش العظيم المدرب على القواعد الاوروبية والذي سيضاهي جيوش اوروبا باقتداره ونظامهِ بقي حتى سنة ١٨٣٩ في حيز الفكر فقط بيد ان القوة العظيمة التي كانت تعضد الجيش كانت قد اتلفت دون ان يقوم مقامها قوة اخرى مثلها او احسن منها مكانها

ومن يتتبع حوادث التاريخ يرى انهُ منذ ذاك الوقت حتى الان ما زال الانخذال مخيماً فوق رؤوس الجيس العثماني وذلك لنقص في تشكيله

ولعدم مقدرة قواده ولترك ذوي الكفاءة منهم وخاصة لسوء الادارة فيهِ بيد اننا لانقوى مهما طال اجتهادنا ان تنقص من شجاعة وبسالة الجند العثماني في كل الحروب التي خاض غمارها وبنوع اخص في النا، وبلفنا، وادرنه، حيث اثار دهشة واعجاب المسكونة اجمع ولو قدر له ادارة قويمة كشجاعتهِ لاتى بالعجائب .

وهذه الشجاعة وكرم الاخلاق لايوجدان فيهِ فقط ابان الحرب بل ابان السلم ايضاً فانهُ رغماً عن كونهِ — في العهد القديم — جائعاً وحافياً لايقبض من راتبه الا مرتين في السنة اي في عيد الاضحى ورمضانُ بقي دائماً خاضعاً لقواده اميناً لسلطانهِ مدافعاً عن دينه . فباي بلاد يبلغ سوء العيش بالجندي الى هذا الحد ولا يثور مائة مرة عوضاً عن الواحدة في وجه قواده وبلاده ؟ فلو عاملت فرنسا او غيرها من الدول جنودها كمعاملة العثمانية لهم لانقلبت الحكومة في اسبوع واحد رأساً عَلَى عقب .

زار احد كبار الافرنسيس طرابلس الغرب فقال (كنت اقضي مساء نهاري في قهوة ايطالية قرب البحر وكنت ارى فرقة عثمانية لاتبلغ اكثر من ثمانمائة رجل تمرّ من امامي وتقف هنيهة عَلَى شاطىء البحر ثم تعود فتدخل قشلاقها ولما يقدم لهم الطعام كانوا يصرخون قائلين بصوت واحد (چوق ياشا) اي فليحي زمناً مديداً . وعملهم هذا هو بمثابة شكر يقدمونهُ للسلطان الذي يطعمهم ويكسوهم وهذا الصراخ الذي يقذفه من جميع الصدور مئات الوف من الجنود في آن واحد من كل اصقاع المملكة متجهين بابصارهم نحو الاستانة شاكرين من ينعم عليهم بما يسدون به رمقهم كان يرتفع كدخان البخور الى العزة الالهية لتدرأ عن السلطان وامتهُ كل شر وخطر . مما يدل عَلَى جميل محامد اولئك الجنود .

وحقيقة الأمر لايسع المرء عندما يرى ذلك الجائع الطالب الكسوة المحتاج الى راتبهِ الشهري رافعاً اكف الحمد الى سلطانه لمنحهِ اياه قليلاً

من الخبز والطعام مستبسلاً في ساحة الوغى مدافعاً بجميع قواه عن وطنهِ الا ان يطأطئ رأسه له خشوعاً واحتراماً وهيبةً ووقاراً :

الفصل الرابع

الخطة الحربية في الحرب البلقانية

يجب على كل قائد ان يضع لجيشهِ خطة حربية قبل نشوب القتال وان يطبق عليها حركاته العسكرية بيد انهُ يلزم له ان يفكر ملياً قبل وضعها ويفترض كل ماهو ممكن ان يصنعهُ عدوه ويهيء له المعدات اللازمة كما كان يفعل نبوليون الاول قبل اقدامه على الحرب وكما فعل ليلة معركة اوسترليتزا الشهيرة اذ صفَّ عساكره وعساكر اعدائهِ عَلَى وسادة من المخمل واشار الى الاعداء بدبابيس سود والى عساكره بالحمر واخذ يقدم هذا ويؤخر ذاك كانه في معمعة القتال سادّاً كل باب يفترض خصمهُ قادراً عَلَى فتحه وقد اعلن بعد انتهاء عمله انهُ سينتصر وان الاعداء سيقيمون بكذا وكذا حركةً وانهُ سيوقعهم في هذا وذاك الفخ . وهكذا كان . لكن نبوليون قبل ان يقدم عَلَى هذا العمل كان يعرف تماماً اخلاق عدوه ومعداتهِ وطباعهُ بخلاف العثمانيين الذين كانوا جاهلين اخلاق القواد البلغاريين وحركاتهم لذا وضعوا خطتهم الحربية دون ان يكونوا في ثقة من حركات اعدائهم وطبائعهم .

وضع العثمانيون خطتهم وهي : حشد مايقوون على جمعهِ من عساكرهم المنظمة من اسيا وتراقية عَلَى جبهة ادرنه وفرق كليسه لان الجناحين كانا محميين الاول بمعاقل وحصون ادرنه والثاني بجبال صعبة التسلق ومن

هناك يمشون و يهجمون عَلَى البلغاريين الذين زعموا انهم سيكونون بانتظارهم وانهم لا يبدون حركة قبل هجوم البلغاريين عليهم خلف نهر الماريتزا وبهذه الواسطة يحيطون بجناحهم الايسر بواسطة الاودية المقابلة الواحدة للاخرى في شبه جزيرة البلقان لكن لسوء الحظ لم يقوَ القواد العثمانيون عَلَى اتباع الخطة التي وضعوها لانهُ كان ينقصهم ادارة وسرعة في نقل الجنود على السكك الحديدية وخدمة المؤن ومخازن للأكل حتى ومستشفيات في ساحة الحرب . مع ذلك لما رأى اركان الحرب العام في الاستانة استحالة اتقان خطتهم لم يغيروها بل ساروا عليها فانتجت نتيجة سيئة لان كل شيء ليس بذاتهِ كاملاً فهو ناقص وآخرة النقصان الخسارة وما كادوا يرسلون نصف الجنود و يصلون الى قرق كليسه منهوكين من التعب حتى كان النصف الآخر من الجيش على ثلث الطريق فلم يقوَ على اكمال خطته .

وفي ٢٣ تشرين الاول وصلت اخبار انهزام الجيش العثماني في قرق كليسه الى الاستانة في الساعة التي كان يتهيأ بها ناظم باشا للانضمام الى الجيش في تلك الموقعة ويجري الخطة التي كان مصمماً نفسهُ على انفاذها . فلما وصلت اليهِ الاخبار وجم لكنه لم ييأس فعول ان ينسحب بعسكره الى لولوبرغاس حيث يقوم بمعركة فاصلة فان نجح اتبع البلغاريين دفعةً واحدة حتى وراء حدودهم لان المنهزم يلتفت دائماً وراءه ومتى رأى عدوه مجداً باثره اسرع ايضاً بالانهزام . وان انهزم امام عدوه فيتحصن في خطوط شاطلجه بقدر الامكان دفاعاً عن العاصمة و يفقد كل امل بعد ذلك بالانتصار

اما غلطة ناظم باشا فتنحصر في نقطة واحدة وهي الاعتقاد التام ان الجيش البلغاري لا يحرك ساكناً قبل هجوم العثمانيين عليهِ . وقد ابانت لنا الايام عكس ما اعتقد لان البلغاريين لم ينتظروا هجوم العثمانيين بل شنوا الغارة عليهم قبل ان تكمل معدات هؤلاء ولما تلقوا تلك الضربة في قرق

كليسه تضعضت قواهم ولم يعرفوا بعد ماسيصنعون وعوضاً عن ان يجمعوا شملهم بعد معركة قرق كليسه ويهجموا دفعةً واحدة على الاعداء فينزلوا بهم النكال اخذوا يتراجعون الى الوراء في بونار حصار و بابا اسكي ولولو برغاس واخيراً احتموا بحصون شاتلجه حيث كان الهواء الاصفر بدأ يفتك بهم فتكاً ذريعاً ٠

في كل حرب تحدث يكون القائد الاعظم هو المسئول عن حركات جنوده وانتصاراتهم وفشلهم فمن يكون مسئولاً يا ترى في هذه الحرب المشؤومة ٠ أناظم باشا وزير الحربية ؟ كلا ٠ لانهُ ابدى من الهمة والنشاط ما يحمد عليه ٠ فمن اذاً ٠ أعبد الله باشا ؟ لايخلو من العتب غير انهُ اطاع اوامر رئيسهِ ٠ فمن هو اذاً ؟ ولا غرو الفلد مرشال غوندر غولتز باشا الرئيس الاول للجيش العثماني ومنظمه ٠ فهو الذي وضع خارطة الحرب قبل نشوبها حتى بعد معركة قرق كليسه ولولو برغاس ٠

انهم يلقون تبعة الفشل عَلَى قوة المدافع البلقانية وضعف المدافع العثمانية تجاه اولئك وجودة سلاح البلقانيين ٠ اجل اننا لاننكر ذلك ولكنها ليست السبب الاول فلو عرف العثمانيون خطط الحرب الفنية كما علمها اخصامهم ولو عرفوا افضلية الهجوم بالقوات المتحدة عَلَى التقهقر والدفاع لكانوا توفقوا رغماً عن افضلية مدافع اعدائهم الى سحقهم او بالاقل الى توقيفهم في مواقفهم وردعهم عن التقدم الى الامام ٠

غير اننا لانجل ايضاً البلغاريين عن عدة غلطات اقترفوها لكن انتصارهم وافضلية حركاتهم اسدلت الستار على بعض هفواتهم ٠ ومن هذه الهفوات عدم اتقان موكب خيالتهم واعتمادهم فقط على قوة المدفعية لان الخيالة لها منافع عديدة في ساحة الحرب ولما كان يلتحم الجيشان كانت الخيالة العثمانية تفتك فتكاً ذريعاً بالبلغاريين وتجبرهم على التقهقر فتأخذ بصدرها الرجال والبنادق دائسة باقدامها العساكر والجحافل

وهذا ما اعطى بعض الانتصارات الى العثمانيين في هذه الحرب الضروس

ان من يقرا تاريخنا هذا يتعجب اذا لا يرى للعثمانيين الا نصراً واحداً وهو انتصار فيزا بقيادة ناظم باشا قبل معركة لولوبرغاس بيوم واحد. ان للعثمانيين انتصارات عديدة ولكنها ليست بالدرجة الاولى وفي المعارك الكبيرة. ان كثيراً ما يحدث ان يهجم العثمانيون — كما نوهنا في مقدمة الكتاب — على البلغاريين او على سواهم فيفتكون بهم في بعض المعارك ويستولون على مراكز جميلة ولكن لسوء الحظ لاتلبث هذه المراكز ان تفقد من ايديهم ويخسروها للابد كما يدلنا وجودهم في شاطلجه وتركهم تلك البطاح وبما ان التاريخ مختصر لانقوى على ذكر كل هذه الحوادث بل نسرد فقط النتيجة.

ومن اهم غلطات البلغاريين وقوفهم بعد معركة لولو برغاس في تلك الناحية وتركهم العثمانيين يتحصنون في معاقل شاطلجه. فلو تتبعوا اثارهم بعد لولوبرغاس لكانوا وقفوا واياهم على ابواب الاستانة وهي غلطة من اشد الغلطات وقد كلفتهم مالاً ورجالاً ووقتاً كانوا بغنى عنهم وما الانتصار الا فرصة يجب الانتفاع بها.

واما خطة الدول المتحالفة فقد كانت مهيأة من قبل سنة فضلاً عن الاستعدادات الجمة التي احتاطت لها. فاتفقت جميعها على صنع خطة تجري عليها كل واحدة حسب منطقة النفوذ التي ترمي اليها والمتفق عليها فكانت خطة البلغار الاستيلاء على تراقية وقسم من مكدونيا وخطة السرب الحصول على مناستير، وقوصوه، وما جاورها واليونان على الابيره ويانيا، والجزر، والجبل الاسود على اشقودره، وطوزي، وما يجاورها واذا قدر لجميعها النصر عاون بعضها بعضاً بعد ان تنتهي كل دولة خطتها لاجبار الدولة العلية على الاسراع في عقد الصلح؟ وعرض تقسيم الاملاك على موتمر دولي تدخل به خاصة روسيا منعاً للمخاصمة والمشاحنة

شاطلجه وسالونيك

علم العثمانيون بعد فشلهم في لولو برغاس ان لا امل لهم بعد باسترجاع الاراضي التي خسروها وقد وجب عليهم طرح السلاح وعقد الصلح لو لم يكن هناك نقطة دقيقة النظر يجب الانتباه اليها وهي الدفاع عن الشرف العثماني لانهم لسوء الحظ لم يتقهقروا فقط في لولو برغاس امام البلغاريين بل انصبت عليهم شآبيب المصائب من كل جهة فانهزموا ايضاً في مقدونية من امام السربيين في معركة كيتشافو التي فتحت امامهم طريق برليب ومناستير وفي معركة جانيتزا من امام اليونان التي سهلت عليهم اي اليونان الاستيلاء على سالونيك ثاني مدينة في المملكة العثمانية من بعد الاستانة وعاصمة مقدونيا القديمة ومحط رحال رجال تركيا الفتاة قبل الدستور ·

ولما استولى اليونان والبلغار على وادي الفاردار دخلت الجيوش اليونانية اولاً الى سالونيك ثم تبعتها الجيوش البلغارية واستولت على سالونيك دون ان يطلقوا تقريباً عياراً ناريا وذلك في ٩ تشرين الثاني وكان عذر تحسين باشا في امر تسليمها ان الحامية التي معهُ منهوكة القوى فاقدة الزاد مكتنفة بالامراض وانهُ لا يقوى على المقاومة ولن تجديه نفعاً واستولى اليونان على عدد عظيم من المدافع والبنادق والذخائر واسروا ٢٥ الف جندي ·

اما في اشقودره فقد قاوم بطلها اسعد باشا احسن مقاومة وصدَّ مراراً كثيرة الجبليين عن حصون تارابوش بعد ان كبدهم خسائر جمة وقد البست مقاومتهُ ومقاومة شكري باشا في ادرنه ثوباً قشيباً من الفخر والاعجاب جسد العثمانية من جراء تسليم سالونيك دون قتال ومدافعة وحق تحسين باشا ان يناضل حتى النهاية لان النصر في يد الله يؤتيهِ لمن يشاء فضلاً عن انهُ كان الهى قسماً من الوقت القوات اليونانية واضعفها.

فلقد اساء بعمله هذا الى دولته وامته ٠

غير ان قوات الجيش البلغاري كانت قد فنيت ادبياً بعد معركتي لولو برغاس وتشورلو لانه اضحى بحالة من التعب والضعف يرثى لها ولو كان للعثمانيين آنئذٍ نجدات جديدة لفتكوا به فتكاً ذريعاً ٠ لذا اوقف الجنرال سافوف قواته وارسل يطلب الاحتياط من صوفيا لاسيما وان حصون شاطلجه يرد الطرف عنها وهو كليل وقد امست بفضل ناظم باشا امنع من عقاب الجو ٠ وهي حصون قوية تبعد اربعة عشر ميلاً فقط عن الاستانة في ارض يبلغ طولها من بحيرة دركوس حتى بحيرة كوچك جكمجه ٢٥ كيلو متراً تقف وقفة المدافع الباسل عن الاستانة وهي مركزة على ثلاثة خطوط من عدل مجرى نهر صغير يجعلها فيضانهُ في ايام الشتاء صعبة المراس ومجموع هذه المعاقل والحصون ٣٥ حصناً عداً وها اسماء امنعها :

من الجهة الجنوبية نحو بحيرة ديركوس قرب البحر الاسود الى بحر مرمرا لازار كوي ، داجينلرجه ، ديركوس ، داليجينوس ، ميزبليب ، لافتيروغلو ، نانجه ، ارديتيب ، بوباليق ، تسلار ، باجير ، ديجير من تاب ، قورو كافاك ، ياس ديران ، نيدجير تاب ، قاضي باجير ، اقبينا ، ناقص كوى كير داري ، سنجق تاب ، ايفيك تاب ، محمود باشا ، محمودية ، حميدية ، توماس ، ميها كوي ، احمد باشا ، خادم كوي ، باتشيس طوبجي ، باشس كوي ياز ديران ، اورصون كوي ، بودزير ، جور باجير ، جكمجه ، واخيراً بيوك جكمجه على ساحل بحر مرمرا ٠

وفي ١٢ تشرين الثاني تناقلت الاخبار اشاعة دوت لها الاقطار ان جلالة السلطان قد التجاء الى بر الاناضول الى بروصه مع الصدر الاعظم كامل باشا غير ان هذا الاخير الذي بقي ٢٧ يوماً وليلة في غرفة اشغاله حيث ينام ويتناول الطعام ويصدر الاوامر رغماً عن شيخوخته اعلن انهُ يفضل ان يقتلوا سيده في قصره وهو في مخدعه من ان يترك العاصمة في

ذاك الوقت الحرج وهي والله همة لم نرها في الشبان فكيف بالشيوخ

وفي ١٣ تشرين الثاني شاعت الاخبار ان البلغار بين اقتحموا خطوط شاطلجه وانهم زاحفون على الاستانة · فاجتمعت دوارع الدول في مياه بحر مرمرا تجاه الاستانة وطلب كامل باشا منها انزال جنودها الى الاحياء التي يقطنها الاوربيون وكل دولة تحمي رعاياها ·

ولبث نداء العثمانية بوضع حد لنهاية الحرب دون صدى لان الحلفاء لم يقبلوا بادئ بدء بالصلح قبل ان يضمنوا نهائياً ثمرة انتصاراتهم واعلنت بلغاريا انها لاتقبل بالصلح الا متى استولت على مايؤيد مطالبها اذا عرضتها عَلَى الدول ·

وفي الوقت نفسهُ اعلنت النمسا للسرب انها لاتقبل قطعياً بوجودها عَلَى شواطئ البحر الادرياتيكي في الوقت الذي كانت دوائر السرب تحدث نفسها بالاستيلاء عَلَى منفذ في البحر الادرياتيكي سواء كان على ثغر سان جيوفاني دي مدوه وهو ثغر صغير استولى عليه الجبليون باسم ملك السرب بطرس الاول او في ديرازو التي استولى عليها السربيون اخيراً ·

فاضطربت الامور اذ اصرت السرب على طلبها فاعلنت دوائر النمسا في ١٤ تشرين الثاني انهُ اذا قبلت الدول العظمى بتطبيق هذه القاعدة (البلقان للبلقانيين) فهي تطلب بالحاح جعل البانيا امارة مستقلة وانها لاتعترف بكل ما يجحف بحقوق الالبانيين من جهة انسلاخ الاراضي · ولسوء الحظ ان ديرازو واقعة في وسط اراضي البانيا فدعمت ايطاليا والمانيا مطالب حليفتهما النمسا التي اخذت تطلب من الدول البلقانية حسبما ما اعلنتهُ سابقاً · وكلفت السرب المسيو دانيف رئيس مجلس النواب البلغاري ان ينوب عنها في فينا بشأن هذه القضية ·

الفصل الخامس

بشائر الصلح

لقد ازف لنا ان نطلق حمامة نوح من سفينتهُ حاملة للانام بشائر الاتفاق والوئام بعد ان امسى سهم بلادنا مكسوراً وسيفها كليلاً ودرعها مثقوباً ومدفعها لاهثاً غير ان راياتها في ايدي الاعداء لا تزال تبرهن للعالم ان اندكاك نجم السعود لا يطرح امة تمكنت منها محبة الوطن في ساحة اليأس. وكنا نود من دول التحالف البلقاني ان تفرغ جعبة قوتها في نزال ما يكدر شموس التمدن والنجاح. فهناك على آكات البلقان وامام شاطلجه تهدر الدماء سجالاً وتحرق الابناء انتقاماً و يفتك الهواء الاصفر بالجنود فتكاً ذريعاً فيزيد امتداد لسان الشر والويلات اندلاعاً. ولما تفاقم الخطب تضايق الفريقان من الحالة الحاضرة واستعد البلغاريون لخرق حصون شاطلجه لانهائها ووقف العثمانيون وقفة الابوة تجاه اشبالها فادرك كامل باشا الخطر العظيم من دخول الاعداء الى العاصمة وما يتأتى عنهُ من الحرائق والمذابح ولربما تتخذ دول اوروبا قتل رعاياها في هذه الآونة حجة تقيمها عليها فرخص للسفن التي هناك بانزال جنودها لتحتل الشوارع التي يقطنها رعاياها.

فانزلت السبع دول المختصة بحماية الاستانة عساكرها فبلغ عددهم خمسة آلاف بحري. فنزل الافرنسيون في غلطة خاصة لحماية البنك السلطاني العثماني والانكليز لحماية اللوكندات الاجنبية الكبرى والالمانيون في محلة تقسيم الخ وكانوا يسمعون من الاستانة ذاتها صوت اطلاق ما تصم له الاذان. ولكن اذا كان المدفع لا يزال يلعلع فقد ارتفع من فوق امواج المانش الى سائر اقطار الدنيا طائر البشر معلناً ان لا قوة الان الا لصوت دهاقنة اوروبا المجتمعين بها وسرى في عواصم المتحاربين لغط الهدنة وقرب توقيف الحرب. وقد اتفق ملك اليونان الذي كان يومئذٍ في سالونيك والقيصر فرديناند

الموجود في قرق كليسه والملك بطرس في اسكوب عَلَى شروط الهدنة اما الملك نقولا فاعلن قبل الجميع ان لا امل بالهدنة او بالصلح ان لم توضع مسالة ضم اشقودره الى الجبل الاسود اساساً للمفاوضات ٠

فعقد البلقانيون اواصر الاتفاق عَلَى ان لا يرضوا عن ادرنه بديلاً لان موناستير قد سلمت دون قتال تقريباً الى السربيين واخذ زكي باشا يقاتل فقط للذود عن الشرف العسكري ولما ضايقتهُ الجنود السربية التجأ الى اوخريده الا انهُ لم يمكث بها زمناً طويلاً حتى طبقت عليهِ الجنود السربية واخذت المدينة عنوةً واسرت زكي باشا مع جميع جنوده البالغين ١٥ الفاً في ١٦ تشرين الثاني ٠

منذ ١٧ تشرين الثاني هجم البلغاريون ليستولوا عَلَى سراني بقيادة الجنرال كيتنتشيف فاجابهم العثمانيون بالهجوم من جهة الشرق عَلَى فيزا وحمي وطيس نار الحرب وزاد اشتعالاً وقد كانت القوتان متضاهيتين والحق يقال ان العثمانيين ابدوا من المهارة والشجاعة ما ذكر التاريخ بسالف مجدهم وشجاعة ابطالهم وانقلب العدوان من فيزا وسراني لشدة القتال والمناصفة بين القوتين الى خط تشورلو — تشيركوى — استرانجه حيث دارت الدائرة عَلَى العثمانيين فتحصنوا من جديد في شاطلجه بعد ان كبدوا الاعداء خسائر جسيمة ٠

اما مسالة الخلاف بين السرب والنمسا فكان كميزان الحرارة في شهر شباط تارةً يتفاقم غضب النمسا وطوراً يتدفق سيل لطفها ورضاها حسب تلبد الغيوم وانقشاعها في جو السياسة البلقانية ٠ يعلم القراء جيداً اذا كانت السرب تطلب منفذاً لها عَلَى البحر الادرياتيكي فليس لانشاء اسطول يهدد اركان السياسة النمساوية لكن لتقوى بواسطتهِ عَلَى تصريف حبوبها واثمارها ولكن الامل عظيم بمساعي الدول العظمى حفظاً لوقوع مشكل اخر اوروبي وقد صرح المسيو بوانكاره من اعلى المنبر بالدول

العظمى ان التحدي ولا تقدمي عَلَى عمل دون اخذ راي الجميع بهِ والا في ساعة لا تنتظرينها تشب من هذا الاحتكاك نار محرقة تقف لها جميع اوروبا واجفة

انتهت الحرب في مكدونيا بعد استيلاء السرب واليونان عليها لان ما بقي من جنود رضا باشا بعد معركة موناستير ذهبوا الى رسنه ودخلوها فاتبعتهم الجنود السربية فتركوا المدينة وما زال السربيون في اثارهم حتى فرقوهم في معركة فلورينا · ولما لم يعد امامهم جيش يخافون بطشهُ زحفوا لمناصرة البلغاريين في شاطلجه وادرنه

وما كان يشغل حقيقة افكار اوروبا الا الخلاف السلافي النمساوي وكما يعلم من اطلع على حوادث هذا التاريخ ان السرب كانت تسعى بخيلها ورجلها للحصول على منفذ في البحر الادرياتيكي غير مهتمة كثيراً بالبانيا سواء اعطيت استقلالاً ادارياً او لم تعط بل كانت تسعى وراء نفعها وخيرها الخصوصيين وما يضمن لها الحياة التجارية بكل راحة وسكينة وخاصةً لكي تنفض عنها غبار السلطة النمساوية· وقد وقعت اوروبا في مأزق حرج لان ما تخسره هذه الدولة تربحهُ تلك والاثنتان تسعيان سعياً جدياً حثيثاً وراء الربح ونبذ الخسارة وقد ايقنت النمسا ان الدافع للسرب للوقوف في وجهها ومعارضتها في سياستها لم تكن الا روسيا الام السلافية التي تحنو نفعاً وسياسة على بنيها ومما زاد قدمها رسوخاً في سوء نية روسيا من جهتها لما بينهما اولاً من المصالح الاقتصادية ثانياً من المسابقة على النفوذ ثالثاً لما اظهرتهُ روسيا من الفرح والاهازيج حين استيلاء السرب على كيمانوفو ومناستير · فصرخ النفير في النمسا الى حشد العساكر واخذت الفيالق تتلو الفيالق حتى جمعت بين الليل والنهار في مدة ٢٠ يوماً سبعة فيالق من العساكر المجهزة المعدة للحرب وامرت اسطولها ان يكون على قدم الاستعداد لخوض غمراتها· فقلقت روسيا وحشدت على حدودها

تجاه العساكر النمسوية ما يقارب عساكرها ولبثت الدولتان تنظران الى بعضهما مكشرتي الانياب مستعدتين للهجوم لادنى حركة او اشارة

هذا من هذه الجهة اما من الجهة الثانية فلم يكن قصد البلغاريين من الزحف عَلَى حصون شاطلجه الا ايهام العثمانيين ان لديهم قوة عظيمة تخر لهولها معاقلهم المنيعة · وبالحقيقة لم يلبثوا زمناً طويلاً يديرون حركاتهم العسكرية في سرائي وقره سوحتى اسكتوا مدافعهم واخمدوا نيرانهم ·

وفي ١٩ تشرين الثاني قطع البلغاريون كل مواصلة حربية وتوقفوا عن كل هجوم واخذوا يتداولون مع ناظم باشا في امور الهدنة لا بل ايضاً في مبادىء السلم الاساسية · وقد قلل البلغاريون من غلوائهم لما راوا من حزم ناظم باشا ونشاطهِ واقترحوا ان تمتد الحدود الفاصلة من ميديا سائرة مع مجرى نهر الارجين حتى خليج اينوس عَلَى بحر ايجه وان تدفع العثمانية للدول المتحالفة ٦٥٠ مليوناً من الفرنكات اما العثمانيون فلم يقبلوا بذلك وافهم ناظم باشا رفيقيهِ سافوف وفيتشيف ان العثمانيين لا يعتبرون مقدونيا واقعة من ايديهم (لان شكري باشا الذي اطلقنا عليهِ اسم الغازي لم يزل يقاوم ويناضل كما نفعل نحن امامكم ولا يمكن لمن فقد قوتهُ ورمقهُ ان يقاوم خصمهُ شديداً وطويلاً لا سيما وانهُ اضحى من المستحيل عليكم ان تخترقوا صفوف شاطلجه مهما بلغت قوتكم لانني في هذه المدة رايت نجم سعد بلادي افلاً فاتخذت له الاحتياطات اللازمة و بنيت بمعرفة اشهر اركان حربي ومستشارين اخرين ثلاثة خطوط دفاع وراء هذه الثلاثة التي صدت هجماتكم وردتكم عَلَى اعقابكم محصنة عَلَى اخر طرز واشد منعة من الاول وذلك عقب موقعة قرق كليسه ·)

اجل ان البغاريين لا يحلمون انهم سياخذون يوماً ما الاستانة لكنهم لا يرجعون عن اخذادرنه الواقعة في الروملي والتي هي دائماً بمثابة عدو يهدد كيانهم كل آن وساعة ولذلك اصروا على الاستيلاء عليها ·

شروط الهدنة

لا شيء اصعب من تدوين وقائع هذه الحرب المفجعة لتناقض الاخبار وتفاوتها اذ تكذب الدوائر الرسمية اليوم ما اثبتتهُ بالامس و بالكاد تختلج الافئدة جذلاً لقرب وقوع الصلح حتى نرى من الغيوم المتلبدة في افق السياسة ما يعكر صفاء جو السلم و بينا نرى دولة البلغار تقبل شروط الهدنة وتود العمل بها ترى اليونان والسربيين يحتجون عَلَى موادها · اخيراً في ١٩ تشرين الثاني اجتمع ناظم باشا مع معتمدي الدول البلقانية في قرية بلاباثم انتقلوا منها الى قاعة في القطار الحديدي في منتصف الطريق بين شاطلجه والمعسكر البلغاري واخذوا يتداولون في امور الهدنة وشروطها · فطلب البلقانيون شروطاً قاسية اهمها اولاً ترك جميع خطوط شاطلجه ثانياً ترك ادرنه واشقودره و يانيا للبلقانيين · فصعب الامر عَلَى ناظم باشا واحب ان يستانف القتال من ان يوقع عَلَى هذه الشروط المخلة بشرف بلاده لانهُ لا يمكن تسليم ادرنه تلك العاصمة القديمة والمدينة الجميلة الضامة بين جوارحها قبور السلاطين وجوامع المسلمين الى البلغار بين لا سيما وقد دافعت بمقاومتها المجيدة مدافعة الابطال عن حياض الشرف العثماني وفيما كان العالم بين المخافة والرجاء اذ عادت المفاوضات الى مجاريها وقبل البلقانيون ان تبقى ادرنه للدولة العثمانية بعد ان تندك معالمها ونقوض حصونها وتدخل بعض تعديلات عَلَى كيفية ادارتها وتمتد الحدود بين الدولة و بلغاريا كما ذكرنا آنفاً من ميديا الى ادرنه ثم تجتازها وتتبع مجرى نهر الماريتزا حتى بحر ايجه · اما اليونان فرفضت المداولة بشان الهدنة قبل ان تسقط يانيا واصرّ ناظم باشا عَلَى امداد ادرنه بالمؤن فرفض البلغاريون طلبهُ بشدة وهكذا فعل اليونان بشان يانيا والسربيون والجبليون بشان اشقودره · لذا تقهقرت جيوش الامال بتوقيع الهدنة وقرب وقوع

الصلح امام جيوش المطامع والاحقاد . واذا حذفنا ادرنه من خارطة المنازعات نرى ان السربيين والبلغار بين اتموا عملهم وطبقوا حركاتهم على خطتهم ولم يبقَ لهم الا مساعدة اخوانهم فيما اذا فشلت المخابرة بشان الهدنة وتحصن العثمانيون في معاقل شاطلجه . وقد اتفقت السرب مع بلغاريا بان تضم الاولى الى بلادها كل الاراضي الواقعة حوالي قسطنديل حتى بحيرة اوخريدا وتترك للبلغار بين موناستير التي تستولي ايضاً عَلَى سهل واردا الاسفل وعَلَى احواض ميستا وستروما .

لم يكد اليونان يستولون عَلَى سالونيك حتى قامت قيامة بلغاريا عليها وادعت ان الجنرال تيودوروف هو الذي دخل اولاً الى المدينة بسلاحه وان المعركة التي انتصروا بها عَلَى العثمانيين قرب سالونيك فتحت الطريق للجنود اليونانية لتستولي عليها دون ان تطلق عياراً ناريًا وان البرنس بوريس مراعاة لخاطر ولي العهد ترك الجنود اليونانية تدخل امامهُ الى عاصمة مقدونيا القديمة و بوجيز العبارة افهم البرنس بوريس البرنس قسطنطين انهُ اذا حصل عَلَى ادرنه يترك له سلانيك والا من المحال ان يتركها له .

وفي ٣ كانون الاول تم نظام الهدنة بين ناظم باشا ومعتمدي دول البلقان وامضوها وهذه هي :

بناء على طلب حضرة كامل باشا تم عقد الهدنة والاتفاق بين الموقعين اسماءهم ادناه وهم الدكتور ستويان دانف رئيس نواب بلغاريا حامل وسام القديس اسكندر البلغاري والجنرال ميشال سافوف معاون رئيس الجيش البلغاري العام حامل وسام الاستحقاق العسكري طبقتهُ الاولى المفوضين التفويض المطلق في ما يقررونهُ من لدن ملك بلغاريا قائد الجيش البلغاري العام و بالنيابة عن الجيشين السربي والجبل الاسود فريق اول .

وحضرة الجنرال ناظم باشا ناظر الحربية وقائد العساكر العثمانية العام

حامل وسام المجيدية طبقتهُ الاولى ورشيد باشا ناظر الداخلية حامل وسام العثمانية المرصع والمير الاي علي رضا بك رئيس دائرة من اركان الحرب العثماني حامل وسام العثمانية طبقتهُ الاولى المفوضين التفويض المطلق من لدن جلالة السلطان فريق ثان على الشروط الاتية

اولاً — ابرمت هدنة بين الجيوش البلغارية والسربية والجبلية فريق اول والجيوش العثمانية فريق ثان ليتمكنوا في خلالها من المفاوضات تقريراً للصلح بين المتحاربين ·

ثانياً — ان هذه الهدنة تدوم ما دامت المفاوضات بشان الصلح وتنتهي عند الفراغ من هذه المفاوضات على طريقة موافقة او عند قطعها ·

ثالثاً — ان المفاوضات لعقد الصلح تجري في لندن ويكون ابتداؤها لعشرة ايام بعد توقيع هذا القرار

رابعاً — اذا اخفقت المفاوضات فلكل من الفريقين المتحاربين ان ينبه الآخر عَلَى فسخ عقد الهدنة قبل اربعة ايام من فسخها ويسمى اليوم والساعة التي يستانف فيهما القتال · ويكون بدء الاربعة ايام الساعة السابعة من المساء الذي يلي زمان تبلغ عساكر الفريق الآخر اعلان الفسخ

خامساً — تحافظ عساكر المتحاربين عَلَى مراكزها الحالية ويعين كل من قائدي العساكر المتحاربة العام ضباطاً للاتفاق عَلَى المنطقة الحرة التي تفصل بين الجيشين ·

سادساً — يبتدىء العمل بالهدنة عند التوقيع عَلَى هذا النظام واذا تعدت عساكر احد الفريقين المتحاربين الحد الموضوع لها بعد ابرام الهدنة توجب عليها الرجوع الى حيث كانت قبلاً ·

سابعاً — تتعهد الحكومة العثمانية ان ترفع الحصار عن مرافىء البحر الاسود وان تبيح دخول السفن اليها ولا تعترض في سبيل تقديم الزاد الى العساكر البلغارية عن طريق البحر الاسود · وتتعهد ايضاً ان تبيح

للقطارات البلغارية المرور في ذهابها وايابها الى بلغاريا ومنها عَلَى الخطوط الحديدية الواقعة في منطقة حصن ادرنه ٠

ثامنًا — يكون بدء الهدنة الساعة السابعة في مساء العشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٢ حسابًا شرقيًا ٠

ملاحظات — ان تقديم الزاد الى العساكر البلغارية المذكور في البند السابع من هذا النظام يبتدىء منذ مباشرة المفاوضات في الصلح ٠

تاسعًا — قد وضع هذا النظام ووقع اربع نسخ في تشاطلجه في العشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٢ حسابًا شرقيًا ٠

ناظم ٠ دانف ٠ سافوف

رشيد ٠ جنرال فيتشيف ٠ علي رضا

حول الطاولة الخضراء

هناك عَلَى مرتفعات شاطلجه سكتت المدافع واغمدت السيوف وخفقت الاصوات وانتقلت الحركة الى ماوراء بحر المانش حيث يرجى ان تضع السياسة والحكمة ما لم تقوَ على فعله لعلعة المدافع وصليل المرهفات ٠ فلعمري هل يوازي ما يأخذه الغالب من المغلوب نصف ما خسره من ابنائهِ وماله وخط بلاده ؟ وهل من العدل ان تهرق دماء اولئك الجنود الابطال وتهلك مزروعات الفقير وتضمحل امآل الفلاح لنقل اسماء بضعة من الرجال من سجل الى آخر فضلاً عن ان السياسة قادرة عَلَى هذا التحوير لانهم يرجعون في كل اعمالهم الى انفاذ ارادتها واعلاء كلمتها ؟

عقد المتحاربون الهدنة كما اشرنا الى ذلك وامضوها الا اليونان طمعًا منها بالاستيلاء عَلَى يانيا وتطبيقًا لقرار اتفق عليهِ المتحالفون لنيل مآرب وغايات سياسية ٠ لكن المسألة ستسوى حبيًا عَلَى مايظهر وتدخل اليونان

في مفاوضات الصلح كغيرها من الدول البلقانية ولا تنتهي المفاوضات قبل رأس السنة خلافاً لما اشيع في التلغرافات الرسمية اذا كان من ثمت ميل اليهِ لان العثمانيين متشبثون كثيراً بابقاء ادرنه والمدن المحصنة التي لم تسقط بعد بين ايدي البلقانيين وهولاء مصرون لالحاق هذه الحصون ببلادهم • وتلك مسألة تستغرق الايام الطوال والاشهر العديدة زد ان تقسيم الغنيمة لايتم بجلسة او بجلستين وهنالك ايضاً موءتمر السفراء والموءتمر الدولي • واذا انتهت المسألة تماماً قبل شباط القادم تكون حقيقة من حظ العساكر المخيمة فوق الثلوج المتراكمة بين قوارص البرد الشديد •

لو خضنا غمار هذا المضمار لاقتضى لنا وقت ليس بيسير ومباحث جديرة بالنظر والالتفات ولكننا مع ذلك نمرّ عليها مرّ السحاب ونلقي عَلَى مسامع مطالعي هذا التاريخ سوءالاً وهو (لمن تكون موناستير وسالونيك أللبلغار ام لليونان ام ثغراً حراً مباحاً دخوله لجميع الدول • ومن يمتلك كالسيديك وكيف يتم الاتفاق عَلَى تحديد تخوم مقدونية وتراقية والبانيا ومن يعين حاكماً لهذه الاخيرة ومن اين منشاوءه امن فينا ام من بطرسبرج ام من صوفيا ومن يكون • هل الدوق ابراق حليف ملك و يرتمبرج ام اسماعيل كمال بك ام البرنس جيكا احد افراد عائلات رومانيا النبيلة ام احمد فوأد ام من ؟ ••

هـذه هي المباحث المهمة التي سيبحث بها الموءتمر مع مسألة ادرنه ومصيرها • من البديهي انهُ يلزم لحل هذه الصعاب المتعقدة اكثر من ذنب الضب واذلالها ايام وشهور عديدة لايسعنا مع الاسف انكارها • ولو كنا بموءتمر واحد لهانت المسألة واشرق علينا بارق الأمل لكن حذاء هذا يوجد موءتمر آخر اهم منهُ وهو موءتمر السفراء وما القصد يا ترى من انعقاده ألتعديل مطالب البلقانيين الثقيلة ام للقضاء عَلَى آمال عظيمة مازالت تختلج في قلوب هذه الامة الحزينة ؟

لو كان مؤتمر السفراء هو الحد الفاصل في هذه الازمة الشديدة لقال العثمانيون عليَّ وعلى اعدائك يارب ولكنهُ لمزيد الاسف مقدمة لمؤتمر الدولي . اما مؤتمر السفراء فسيتولى رئاستهُ السير ادوارغراي نائباً عن انكلترا والمسيو بولس كامبون عن فرنسا والكونت بانكاديف عن روسيا والبرنس ليكونسكي عن المانيا والكونت منسدورف عن النمسا والمركيز امبينالي عن ايطاليا وسيعقد المؤتمر الدولي غالباً في باريس تحت رئاسة الموسيو بيشون وسيعدل قرارات المؤتمرات الماضية ولكن هل يكون بيشون كبسمارك وهل يرضى روسيا بارض من اراضي الدولة العثمانية كما فعل بسمارك معها في مسألة البوسنه والهرسك ؟

ماذا تصنع النمسا لو قررت الاكثرية بارضاء السرب بمنحها جميع مطالبها هل تحرك عساكرها البالغة مائة الف جندي من سملين وتزحف على بلغراد وتقتدي بها عساكرها الرابطة عَلَى الحدود الروسية ويجر اسطولها من بولا ام ترضى باحكام السياسة مكتفية بما احرزتهُ من النصر في مؤتمر برلين بجعل البانيا امارة مستقلة ؟

كنا نود ذلك لكن الاجراآت الاخيرة وتهديد او انذار المانيا لروسيا وتجديد المحالفة الثلاثية قبل افتتاح مؤتمر الصلح بيوم واحد اي في ١٢ كانون الاول سنة ١٩١٢ لعشر سنين وابقائه كما كان سنة ١٩٠٢ مما يدلنا دلالة واضحة على ان النمسا تتربص حتى نهاية المؤتمر الدولي فان وجدت ما يرضيها قبلت به والا استعملت كل ما في وسعها لادراك امنيتها . وعلى كل انتصر الاتفاق الثلاثي ام اندحر سياسة وكياناً فستبكي العثمانية مع الباكين ومع الضاحكين ايضاً لانها خسرت بتهامل رجالها ما لا تقوى على استرجاعه بعشرات من السنين .

وسيلتئم بحذاء هذا المؤتمر مؤتمر المتحاربين في قصر سانت جيمس مؤلفاً من اعظم ساستهم وهذه اسماء البعض منهم :

الافندية : فنيزيلوس · مصطفى رشيد باشا · فيسينتش · دانف · وسفير الدولة العثمانية في برلين · اما اقدرهم باعاً في السياسة فهو المسيو فنيزيلوس اليوناني ودانف البلغاري ورشيد باشا العثماني

اننا بغنى عن ان نصف اهمية المفاوضات الدائرة في لوندره حول الطاولة الخضراء بل نكتفي ان نذكر المطلعين على تاريخنا هذا ان اهمية مؤتمر بورسموث والجزيرة اللذين اقاما اوروبا واقعداها كانا اقل هولاً من نتيجة فشل هذا المؤتمر لان مصالح اوروبا فضلاً عن مصالح البلقانيين اضحت مهددة في كل دقيقة وابتدأت المسألة الشرقية بفتح فاها لتبتلع مئات الوف من الجنود المهددين على الغبراء لسد جشع بعض الدول الاوروبية · اجل ان الاتفاق بين روسيا واليابان كانا على غاية من السكينة في بورسموث سنة ١٩٠٥ وكذا قل عن اتفاق الجزيرة بشان مراكش والكونغو بين فرنسا والمانيا سنة ١٩١١ ولكننا لا ندري اذا كان السلاح المحلاة بهِ جدران القاعة البيضاء في سانت جيمس لا توءثر على عواطف المعتمدين السلميين فتهيج بهم كوامن الحقد فيعمدون الى امتشاق السلاح ثانيةً وتنتصر آنئذٍ كل دولة لصديقتها فتقع اوروبا بين نارين حاميتين لانهُ يوجد بين المطالب البلقانية والعثمانية بون شاسع ومجال واسع وبينا يطلب البلقانيون تنازل العثمانية عن جميع الاراضي التي احتلوها يعترض العثمانيون انهم لا يتنازلون عن ارض لم تزل في حوزتهم كادرنه ويانيا وشاطلجه واشقودره وغيرها وهي تهزأ دائماً بجميع القوات المحتشدة امامها فضلاً عن ان ادرنه هي لديهم بمثابة بروصه والشام وبغداد اي مركز خلفائهم الاقدمين وان جلالة السلطان قد امرهم قبل تركهم الاستانة ان لا يسلموا مفاتيح مدينة يرقد بها اجداده العظام وانهُ يرغب بان تكون مقدونيا ولاية مستقلة كالبانيا تحت سلطته لاسيما وان الجيوش العثمانية مازالت توقع النكال بالبلغاريين المخيمين امام ادرنه وشاطلجه واذا دعتهُ السياسة

يغير الجيش العثماني خطته و يستبدل الهجوم بالتقهقر . غير ان دهاقنة اوروبا لم تعتقد كثيراً بتصريحات رشيد باشا وانهُ اذا امكن العثمانيين ان يتركوا حصون شاطلجه ومهاجمة الاعداء فلا يلبثون ان يرجعوا اليها مندحرين كالماضي .

اما السير ادوار غراي وزير خارجية انكلترا فالقى خطبة رنانة بين معتمدي الدول المتحاربة ابان بها انهُ يجب عليهم ان يتبعوا سياسة الاعتدال والحكمة والا تفاقم الخطب ورجعوا بخفي حنين وكانت تجارتهم خاسرة . واول عمل ابتداء بهِ رشيد باشا هو رفض قبول المداولة مع اليونانيين الذين لم يشتركوا في التوقيع عَلَى الهدنة .

اما السفراء فاجلوا اجتماعهم الى مابعد رجوع الكونت منسدورف الذي سافر الى فينا اخذاً لتعليمات جديدة من حكومتهِ ولكن ماهي هذه التعليمات وماذا تريد النمسا وما تؤمل من الحصول عليه في المستقبل وما معنى حركة جيوشها المستمرة البالغة مليوناً من العساكر المستعدة لاقل اشارة لخوض غمرات الحرب؟ لان القطارات لم تنقطع لاليلاً ولا نهاراً لاسراً ولا اعلاناً من تفريغ الجنود العديدة عَلَى حدود غاليسيا والسرب وقد امتلأت بهم حصون لمبرج وكراكوفي وتيمقار وايزيك لاسيما وان حشد هولاء العساكر يضغط كثيراً عَلَى سياسة اوروبا الحاضرة ومهما اجتهد النمساويون باقناع السياسيين فلا يتمكن هولاء من الاقتناع ان حادثة قنصل النمسا في بروشسكا ادى بهذه الدولة الى تلك التجهيزات الحربية المهولة . ولقد بادرت السرب اتقاء لهذا الخطر ان تعوض عَلَى النمسا ببعض امتيازات جديرة بالذكر لكن عَلَى مايظهر ان حكومة فينا تصر عَلَى الزيادة وتطلب اشياء اخر ربما ادى رفضها الى امتشاق الحسام واطلاق البنادق وتعكير صفاء جو السياسة الاروبية .

لدى اجتماع السفراء الرابع اعلن السير ادوار غراي باسم حكومته

وحكومات المانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وايطاليا ان مؤتمر السفراء قرر استقلال البانيا واعطاء ثغر تجاري للسرب على ساحل البحر الادرياتيكي وبعد مداولات عظيمة وعديدة قرر المؤتمر ان حدود البانيا ستبتدىء من ضفة نهر بويانا اليمنى عَلَى بعد خمسة كيلو مترات من الحدود القديمة الموضوعة سنة ١٨٨١ ويمرّ في بحيرة اشقودره بين سكاجا وزوكاج ناركاً غويرتزه وزوكاج لان سكانها اسلام وطرابوش للالبان . وهذا التغيير في الحدود يكسب الجبل الاسود مساحة من الارض في جنوبي البحيرة قدرها اربعون ميلاً مربعاً . اما الخط في الجناح الشمالي الشرقي من البحيرة فسيبقى عَلَى حسب ماقرر سنة ١٨٨٠ ويتصل هذا الخط الجديد بخط الجبل القديم عَلَى بعد عشرة اميال من شرقي بودوغريتزه . وكل مساحة كلا منتين التي يقع قسم منها خارج ولاية اشقودره العثمانية القديمة ستصبح البانية ثم يبتدي الخط الجديد من مركز في الخط القديم واقع في الجنوب الغربي من اندريافتزا حيث ينطبق الى مسافة قصيرة عَلَى الخط المقرر عليهِ في معاهدة برلين ثم يتحول الى الجنوب ويتصل بنهر درين الابيض حيث يلتقي هذا بنهر ارنك عَلَى بعد خمسة اميال من دياكوف ويظل الخط متبعاً نهر درين الابيض الى مركز يبعد ١٣ ميلاً عن بريزراند المدينة القديمة التي ستبقى في حوزة البلغاريين لانها كانت فيما مضى عاصمة ملكهم ثم يمتد من قرب ديبرا الى ضفة نهر درين الاسود حيث يلازمها الى مسافة قصيرة ومنها يتصل بحدود كوازا الغربية حيث ينتهي ببحيرة اوخريدا

وستبقى البانيا طبقاً لرغائب النمسا مستقلة وعَلَى الحياد تحت سلطة جلالة السلطان ومراقبة الدول الاجنبية وهكذا تحصل السرب عَلَى منفذ تجاري وسيكون عَلَى الحياد وحراً ومتعلقاً بالسرب بواسطة سكة حديد ايضاً عَلَى الحياد تحفظها فرقة من البوليس والجندرمة من قبل جميع الدول المشتركة في المؤتمر . فتتخلص بهذه الواسطة السرب من شدة مطالب

النمسا الجمركية وقد ختم السير ادوار كلامهُ طالباً من السرب تضحية قسم من مطامعها عَلَى مذبح منافع السلم والوئام الاوروبي ٠ وهكذا اضحى مشكل النمسا والسرب قريب الانحلال كما ان معاملة القنصل النمساوي من الجنود السربية في بريزرند قد نفضت عنها غبار المطامع والسياسة فانجلت بمظهرها الحقيقي وسطع تحامل الجرائد النمساوية عَلَى السرب سطوعاً باهراً

لكن لسوء الحظ كانت مفاوضات معتمدي الدول المتحاربة عقيمة اذ مضت الايام والاسابيع ولم تظهر دلائل الاتفاق والوئام ولو عَلَى نقطة واحدة ٠ وبما ان رشيد باشا ورفقاؤه العثمانيين لم يتلقوا الامر بمفاوضة اليونانيين لم يودوا الاعتراف بوجودهم في تلك الجلسات ٠ ولما اصرَّ المتحالفون عَلَى ادخال اليونانيين طلب رشيد باشا مهلة بضعة ايام ريثما تصل الاوامر الجديدة من الاستانة ٠ وبعد انتظار اربعة ايام قبل رشيد باشا مشاركة اليونانيين في مفاوضات الصلح ولكن مسألة ادرنه وحدوث المعركة البحرية بين اليونان والدولة غيرت نوعاً وجه المسألة ٠ فخافت اروبا من سوء المغبة وافهم في اليوم الثاني سفير المانيا وزارة كامل باشا ان الدول العظمى مصممة النية تماماً على عقد الصلح مهما اتسع الخرق وحاولت الدولة التسويف لاكتساب الوقت وذلك في ٢٥ كانون الاول ٠

الفصل السادس

المعركة البحرية

يتألف الاسطول اليوناني من ٤٤ قطعة حربية واحسن بوارجه الطراد المدرع افيروف وقد صنع في ايطاليا سنة ١٩١٠ محموله ٩٩٥٦ طناً وسرعتهِ ٢٤ ميلاً في الساعة وفيهِ ١٢ مدفعاً كبيراً منها اربعة قطر فوهة

كل منها ٩،٢ بوصة وثمانية منها قطرها ٨ و٥،٧ بوصات ومن ٤ بوارج واحدة صنعت في انكلترا سنة ١٨٦٨ محمولها ١٧٧٤ طناً وسرعتها ١٣ ميلاً وفيها مدفعان وثلاث صنعت في فرنسا سنة ١٨٩١ وعام ١٨٩٢ محمول كل واحد منها ٤٨٠٧ طنات وسرعتها ١٧ ميلاً ومدافعها ثلاثة كبيرة و ٥ اصغر منها · ومن طراد اخر صنع سنة ١٨٧٩ وبارجة لخزن الطرابيد صنعت في سنة ١٨٧٧ و٦ مدفعيات صنعت سنة ١٨٨٠ و١٨٨٤ وثلاث بوارج لدفع الالغام صنعت سنة ١٨٨١ وقورفت صنعت سنة ١٨٨٥ محمولها الف طن وسرعتها ١٤ ميلاً ونصف ميل وفيها مدفعان و٨ مدمرات صنعت سنة ١٩٠٦ محمول كل منها ٣٥٠ طناً وسرعتها ٣٠ ميلاً وفيها ٨ مدافع صغيرة ·

و٤ مدمرات صنعت عام ١٩١١ للبرازيل فاشترتها اليونان منها بالأمس قبل ان تخرج من مصانع انكلترا محمول كل مدمرة منها ٩٨٠ طناً وسرعتها ٣٢ ميلاً وفيها ٨ مدافع و ١١ نسافة صنع بعضها سنة ١٨٨١ والبعض الاخر سنة ١٨٨٥ وفي كل منها مطلقان للطوربيد · ومن غواصة صنعت سنة ١٩١١ في فرنسا محمولها ٤٦٠ طناً وسرعتها ١٤ ميلاً وبها ٥ انابيب ·

ويتألف الاسطول العثماني من ٤٨ قطعة حربية منها اثنتان صنع المانيا وهما قديمتان اشترتهما الدولة العثمانية سنة ١٩١٠ محمول كل واحدة منهما عشرة الآف طن ومن ٤ مدمرات جديدات محمول الواحدة منهن ٤ الآف طن · ومن ثلاثين نسافة اغلبها صالحة للقتال من الطبقة الثانية · وهذه اسماء اهم البوارج والمراكب الحربية العثمانية :

للمدرعات : مسعودية بارباروس خيرالدين وطورغود رئيس واثارتوفق

الطرادات: حميدية ومجيدية وجلالت وفتح بلند ومعين ظفر وبرق شوكت

النسافات: برق ظفر و برق سطوت وياد كارملت وغوئة حميت وحميداباد

مجموع الاسطول العثماني اذاً ٤٨ قطعة والاسطول اليوناني ٤٢ فيزيد الاول عن الثاني عدداً غير ان الثاني يزيد عن الاول متانة وطرزاً وجدة ففي الاول كثير من المراكب القديمة اما القطع الصغيرة فجميلة ٠

وفي ١٦ كانون الاول الساعة التاسعة ونصف صباحاً ظهر الاسطول العثماني في مدخل الدردنيل وكان مؤلفاً من اربعة بوارج وطرادين وتسع مدمرات وست نسافات وبعد هنيهة خرجت السفن الكبيرة من الدردنيل متجهة الى الشمال وماخرة قرب الشاطيء قدر الامكان اما السفن الصغيرة فظلت في مكانها ٠

ونمي الخبر الى الاسطول اليوناني الذي كان راسياً في جزيرة امبروس فغادرها حالاً متجهاً الى الشمال الشرقي ليعترض البوارج العثمانية في سيرها وكان هذا الاسطول مؤلفاً من اربع سفن مدرعة ولما كانت المدرعة افيروف اسرع هذه السفن سبقت اخواتها وسارت السفن الثلاث الباقية سفينة سفينة اثر سفينة في صف مستقيم ٠

وفي الساعة التاسعة والدقيقة خمسين شرعت البوارج العثمانية في اطلاق مدافعها عَلَى بعد خمسة عشر الف يردة فلم تجبها المدرعات اليونانية الا في الساعة العاشرة وكان البعد بينهما قد صار ٨٥٠٠ يردة ٠ ولم تأزف الساعة العاشرة والدقيقة الرابعة حتى غيرت البوارج العثمانية وجهتها وعادت ادراجها مسرعة في صف غير منتظم الى الدردنيل فدخلته الساعة العاشرة ونصف ٠

فيتضح مما تقدم ان كلاً من الاسطولين ظل معرضاً للنار اكثر من نصف ساعة والمرجح انهُ لم يظل اكثر من عشرين دقيقة ولم تشترك السفن الصغيرة من نسافات ومدمرات في هذا القتال الذي لا يعد الا مناوشة اجريت ارضاء للرأي العام في الاستانة ٠ وعَلَى كل فكان الاولى بالاسطول العثماني لكونهِ اشد عدداً في تلك المعمعة ان يشترك بها جميع

مدمراته ونسافاته ولكان فاز فوزاً عظيماً عَلَى الاسطول اليوناني وغير وجهة الحرب واذا رأى ذاته غير قادر على مكافحة بقية الاسطول الذي ياتي طبعاً لنجدة الاسطول اليوناني فما كان عليهِ الا ان يرجع الى الدردنيل كما فعل اولاً

ولكن هياج الرأي العام في الاستانة حدا بهِ الى اجراء هذه المناوشة والمظنون انهُ لا يود الاشتراك بمعركة بحرية كبيرة خوفاً من الفشل فهو يفضل اذاً بقاءه في بحر مرمرا يخدم بوجوده الجيش العثماني ويطلق القنابل العديدة على البلغاريين فيمنعهم عن التقدم عَلَى تزال الاسطول اليوناني . والحق يقال انه لولا وجود الاسطول العثماني في بحر مرمرا والبحر الاسود لكان تمكن البلغاريون من الزحف عَلَى الاستانة قرب الشواطىء خاصة في بحر مرمرا ولكانوا بلغوا سان استفانوا منذ زمن مديد .

ولقد بلغت خسارة العثمانيين في هذه المعركة ٥٨ رجلاً بين قتيل وجريح اما العطل الذي حل ببوارجهم فهو كما يلي :

اولاً تعطل احد ابراج البارجة بربروس خيرالدين ولم تعد مدافعهُ تصلح للقتال ودمر جسرها تدميراً تاماً وتعطلت مراجلها واشتعلت النار في مستودعات الفحم فيها .

ثانياً اصيبت البارجتان مسعودية وطورغود رئيس بقنابل في مؤخرتهما كما استدل من الاثار التي ابقتهما هذه القنابل في تدريعهما ولكن لم يعلم بالتدقيق ماالحدثته من الاضرار فيهما .

اما خسارة اليونان فبلغت ١٠ قتلى وسبعة جرحى عَلَى ظهر البارجة افيروف واصيبت هذه البارجة بقنبلتين في ظهرها قرب المدخنة الامامية ولم يعطل الا واحد من مدافعها واصيبت بقية السفن اليونانية بضرر خفيف لا يستوجب الاسراع في اصلاحه خلافاً للسفن العثمانية فانها

سارت الى ناجارا لترميم ماتعطل فيها ·

والخلاصة ان الاسطول اليوناني لايزال له الافضلية في بحر ايجه وان حصر الدردنيل لايزال كما كان قبلاً ·

وفي اثناء تلك المعركة افلت الطراد حميدية وهو احسن طراد وامرعه في الاسطول العثماني يقطع ٢٣ عقدة في الساعة وخرج الى البحر المتوسط واخذ يذهب من ثغر الى آخر مدمراً كل ما صادفه على طريقه فكنت تراه تارة في الاسكندرية وطوراً في ترعة السويس ومرة في حيفا واخرى في البحر الادرياتيك وغيرها في مالطه ضارباً هذا الثغر مدمراً ذاك المركب آتياً بالعجائب والغرائب وبلغ ما اتلفهُ مستودعين من الفحم و٣ مدمرات يونانية وست مراكب تجارية ولو فعلت كل قطعة من الاسطول ما ابداه رؤوف بك قبطانه الباسل لاخذ السيطرة العظمى في البحر المتوسط · اما اليونانيون فتركوه يفعل مايشاء وكان يفلت منهم كلما ارادوا القبض عليهِ ولم يتجراوْا على ارسال قطع حربية كبيرة وراءه لانهُ يلزم لقتاله لا اقل من اربع قطع وهيهات ان يقدروا عَلَى متابعتهِ وان انفصلت هذه عن بعضها حلَّ بها العطب لانهُ اقوى من كل واحدة منها · ثم يضعف اسطولهم من جهة الدردنيل بهذه الواسطة فيخافون من خروج الاسطول العثماني عليهم آنئذٍ لاسيما والقوتان تقريباً متعادلتان ·

الخلاف بين رومانيا و بلغاريا

لو اردنا ان نذكر كل مادار من الحديث بين المندوبين في لندرا وما اتفقوا واختلفوا عليهِ لملأْنا ثلثي هذا التاريخ بيد اننا نختصر ما امكن ونكتفي بسرد النتيجة دون الحوادث ·

ان التاريخ في هذه الايام يعيد نفسهُ فقد حدث اليوم في موءتمر لندرا ماحدث سنة ١٩٠٥ في بورسموث بين الروس واليابان وسنة ١٨٧٠ في معاهدة برلين ٠

لما تداخل روزفلت رئيس الولايات المتحدة آنئذٍ بين روسيا واليابان لعقد الصلح وايقاف القتال ارسلت روسيا احسن ساستها وهو الكونت ويت وقد ابدى من المهارة ماجعل السنة القوم تلهج بذكره وكان كل مرة يصرّ مندوبو اليابان بدفع الغرامة الحربية كان يقف فيأخذ قبعتهُ ويتجه نحو الباب مهدداً بمغادرة بوسطن والرجوع الى روسيا وهكذا كان يفعل في معاهدة برلين اللورد بيكونسفيلد اذا رفضت روسيا تعديل معاهدة سان ستفانو كما ترغب انكلترا وحليفاتها وقد اقتدي بهما كل من مندوبي الدولة العثمانية والدول البلقانية ٠ فان رشيد باشا كلما اصرّ المندوبون البلقانيون على اخذ ادرنه كان يهددهم بترك الموءتمر والرجوع الى الاستانة كما ان البلقانيين كانوا يهددونه بدورهم انهم يقطعون المواصلات معه ويقيمون الحرب سجالاً اذا ترك لندرا ولما رأت الدول ذلك عزمت على المداخلة الفعلية وارسال لائحة مشتركة الى الدولة العثمانية وقد طلب السفراء منها في الاستانة ان لاتأخذ على عهدتها مسوءولية الرجوع الى القتال وان تترك ادرنه لبلغاريا وتتكل عليهن بفصل مسألة الجزر لكن هذه المسألة الاخيرة ستوقع الخلاف فيما يظهر بين الدول الاوروبية لان كلاً من الاتفاق الثلاثي والاتحاد الثلاثي له مآرب تختلف كثيراً عن مآرب رفيقهِ ٠ فدول التحالف تود اعطاء تركيا كل الجزر القريبة من بوغاز الدردنيل مع جزر كوس وميتيلين وشيو وردس القريبة من الساحل الاسيوي وتمنح كل تلك الجزر استقلالاً اداريًا واسعاً تحت سلطة جلالة السلطان ٠

اما دول الاتفاق الثلاثي فتود بالعكس اي ارجاع كل تلك الجزر الى اليونان لان اهلها ان لم نقل كلهم فمعظمهم يونانيون خاصة في ميتيلين

وشيو لاسيما وانهم منذ القرن الخامس عشر حتى الآن لا يزالون يثيرون ضد الدولة العثمانية وان مسئلة استقلال الجزر الاداري يخلق مشاكل كمشكلة كريت بعدد الجزر المستقلة وقد كان الباب العالي يستند كثيراً في سياستهِ عَلَى الخلاف بين رومانيا و بلغاريا بشأن سيلستريا لكن رومانيا افهمتهُ صريحاً ان لايلقي اتكاله عليها · فعزم آنئذٍ عَلَى عقد جمعية وطنية عمومية يرأسها كامل باشا الصدر الاعظم يقرر باثنائها جوابهُ عَلَى مذكرة الدول ·

اما اصل الخلاف الناشب اظفاره بين رومانيا و بلغاريا فهو ان الاولى وعدت الثانية بلزومها الحياد مدة الحرب كلها مهما طالت ومكافأة لذلك تصحح بلغاريا حدودها مع رومانيافتهبها بهذه الطريقة قطعة كبيرة جزاء لها على عملها معها· فطلبت رومانيا الحاق سيلستريا بها لانها المفتاح الوحيد لولاية دوبرودجا التي اعطيت لها في معاهدة برلين عوضاً عن بسارابيا التي وضعت عليها يدها روسيا وانها دون سيلستريا لاتملك الا ولاية ناقصة الحدود ·

اما مركز سيلستريا فهو جميل للغاية لانه بوقوعه عَلَى شاطيء نهر الطونه قد اكسب المدينة رونقاً جميلاً وتجارة واهمية حربية كبيرة وهو لرومانيا افضل من معقلها الشهير تسيرنافودا وهذه المناعة هي التي تدفع البلغاريين الى عدم القبول بالتسليم لان فقدان هذا الحصن المنيع ينقص كثيراً من اهمية بلغاريا الحربية· وقد طلب الملك شارل ملك رومانيا ان يكون اخر الحدود الرومانية من سلستريا الى بلنشيك اي عَلَى بعد بعض كيلو مترات فقط من وارنه وهنا مشكل اخر لانهُ يضع هذا الثغر البلغاري على رمية حجر من المدافع الرومانية غير انهُ مهما تفاقم الخطب بينهما فالحرب لا تزال بعيدة كثيراً حتى لم يفتكروا قط بها لانهم يعلمون انهُ يوجد من يسوّي الخلاف بين الدولتين اعني بها روسيا· كما اعلن ذلك رسمياً المسيو

تاك جوناسكو احد مشاهير ساسة رومانيا . وغاية ماهنالك ان بلغاريا لم ترد ان تتنازل لرومانيا عن سيلستريا قبل ان تعلم جيداً اذا كانت تستولي حقيقة عَلَى ادرنه او لا او ان السرب في الحالة السلبية تترك لها موناستير لانها لاتود ان تخسر الاثنتين معاً بل التعويض بالواحدة عن الاخرى .

ولما اشتد الخلاف بين المندوبين اعلن مندوبوا الدول البلقانية تعطيل اعمال المؤتمر واوضحوا انهم لايرومون بعملهم هذا قطع المفاوضات بتاتاً بل يوقفونها ريثما تجيبهم الدولة العثمانية الى مطالبهم جواباً منطبقاً عليها وزادوا عَلَى ذلك انهم لولا احترام نصائح الدول لقطعوا المفاوضات تماماً ويظهر ان المندوبين يريدون انتظار تسليم ادرنه التي افادت التلغرافات انها لاتستطيع بعد مقاومة المحاصرين زمناً طويلاً ليعودوا الى قصر سانت جمس .

القسم الثاني

الفصل الاول

الانقلاب السريع

في ١٧ كانون الثاني قدم السفراء للباب العالي مذكرة هذا تعريبها :

ان الواضعين اسماءهم ادناه سفراء النمسا والمجر وفرنسة وروسيا وانكلترا والمانيا وايطالية قد كلفوا من جانب حكوماتهم ان يعرضوا لحضرة وزير خارجية جلالة السلطان مايلي :

(ان الدول الست لرغبتها في ملافاة خطر الحرب رأت من الواجب الفات نظر الحكومة السلطانية العثمانية الى المسؤلية العظمى التي تحملها اذا هي ظلت علَى اصرارها ولم تنتصح بنصائحنا ومنعت عقد الصلح . ان اللوم لايكون الا عليها اذا كانت نتيجة استئناف الحرب تعرض العاصمة للخطر وامتداد ساحة القتال حتى الى ولايات السلطنة الاسيوية

وفي هذه الحال لايمكن للحكومة العثمانية ان تأمل من مساعي الدول حمايتها من الاخطار التي اشارت عليها الدول وتشير الآن بعدم التعرض لها . وفي كل الاحوال تكون الحكومة السلطانية العثمانية بعد عقد الصلح في حاجة ماسة الى عضد الدول الاوروبية العظمى الادبي والمادي لاصلاح ماسببتهُ الحرب ولتعزيز مركزها ولاستثمار الاراضي الاسيوية الوسيعة التي يكون من وراء نجاحها قوتها الحقيقية .

ولا يمكن لحكومة جلالة السلطان ان تضع رجاءها بعضد الدول الفعلي لها للقيام بهذا العمل الضروري الهام الا اذا انتصحت بنصائحها الصادرة عن حب المحافظة على مصالح اوروبا العمومية ومصالح العثمانية وعَلَى هذا ترى الدول الاوروبية العظمى ان تكرر نصيحتها للحكومة السلطانية العثمانية بان تخلي عن مدينة ادرنه للحكومات البلقانية وتترك للدول تسوية مسئلة جزر بحر ايجه ·

وتتعهد الدول لقاء ذلك ان تحافظ عَلَى مصالح المسلمين في ادرنه وعَلَى كرامة الجوامع وكل البنايات الدينية الموجودة فيها كما انها تحل مسئلة الجزر حلاً خالياً من كل خطر عَلَى العثمانية)

وبعد ان قراه نورادونجيان افندي ناظر الخارجية تلك المذكرة وضعها باحتراس في محفظته فقال له بلافيشيني السفير النمساوي (نرجو الجواب عليها باقرب مايمكن) فاجابهُ نورادونجيان افندي (ستجاوب عليها الحكومه السلطانية في اقرب مايمكن)

و بعد هذا انصرف السفراء دون ان يتفوهوا بكلمة وتوجه نورادنجيان افندي وسلم المذكرة الى كامل باشا فقراها واخذ يتداول مع ناظر الخارجية في كيفية الجواب عليها وكان قد حضر الى الصدارة العظمى ناظم باشا ناظر الحربية وعبدالرحمن بك ناظر المالية ورستم باشا وكيل نظارة الحربية فاشتركوا في المداولة لكنهم لم يقرروا شيئاً واكتفوا بان ابدى كل رايهُ في الامر مرجئين اخذ القرار النهائي الى حين انعقاد الجمعية الكبرى وفي ٢٢ كانون الثاني التأمت الجمعية الوطنية الكبرى وقد لبي الدعوة ٩٠ مدعواً من ١١٠ وحضرها كل اعيان المملكة عَلَى اختلاف مشاربهم السياسية وكل روءساء الاديان وكبار الموظفين ومن جملتهم البرنس سعيد حليم وكامل باشا وناظم باشا وفريد باشا وسعيد باشا الصدر الاسبق وغيرهم اما محمود شوكت باشا فاعتذر عن الحضور · فقام كامل

باشا خطيباً وحضهم على التذاكر والمداولة بحرية تامة واوقفهم على مذكرة الدول . ثم قام كل من النظار وابان الحالة الحاضرة فتكلم ناظر الخارجية فيما يتعلق بالنظر الدولي وناظر المالية فيما يختص بخزينة الدولة وناظر الحربية بما يتعلق بالوجهة العسكرية ثم اقترع الحضور فلم يخالف الا صوت واحد وهو مدعي عمومي محكمة التمييز . اما التسعة والثانون عضواً فاقروا على ان الحكومة العثمانية عملت جهدها وانها تستطيع ان تسلم من غير ان تمس بشرفها وكرامتها ثم تواعدوا على الاجتماع في الساعة الحادية عشرة من اليوم الثاني في الصدارة العظمى ليقرروا الجواب الذي يقتضي ارساله الى اوروبا

وفي ٢٣ كانون الثاني اجتمعت الجمعية الوطنية الكبرى فسادت السكينة التامة في الداخل والخارج . وطالت مدة الاجتماع الى الساعة الثانية عشرة ونصف فقررت الجمعية ان يتناول النظار الطعام في الصدارة العظمى من مائدة جلالة السلطان كما هي العادة في مثل هذه الظروف وقد انذر ناظر الخارجية في اثنائها ناظم باشا بانهُ سمع ان انور بك يتولى القيام بمؤامرة ضد الحكومة فاجابه وزير الحربية (ان انور بك وعدني وعداً شرفياً عسكرياً بان لا يتداخل فيما بعد بالسياسة وكفى بوعده دليلاً)

ولما انتهوا من الطعام قام النظار عن المائدة واخذوا يتداولون في غرفة المجلس فذهب كامل باشا الصدر الاعظم الى غرفة عمله لاستقبال احد زائريه وبقي ناظم باشا وناظر المعارف وناظر الاوقاف في الغرفة المذكورة وبينما هم كذلك اذ سمعوا طلقين من الرصاص في الرواق واصواتاً وجلبة . فهب ناظم باشا واقفاً واسرع الى باب الرواق اما نورادنجيان افندي فتأبط محفظته وجمع اوراقهِ وخرج من غير الباب الذي خرج منهُ ناظم باشا واسرع راكضاً الى الصدر الاعظم فرآهُ وحده فيها وهو ملصق جبهتهُ بزجاج النافذة متأملاً في الجمع الخارج ثم فتح فجأة الباب بعنف ودخل منهُ رجلان في ايديهما المسدسات فقال كامل باشا — كيف تجسران

؟ ... من ؟ ... ماذا جري ؟ ...

فاجابهُ احد الرجلين وهو انور بك بذاتهِ (لقد حدثت ثورة عظيمة فاذا تنازلت فخامتكم عن الصدارة العظمى اكفل كل شيء ويستتب النظام في الحال . فلم يرتجف ذلك الشيخ الجليل بل قال لمخاطبهِ .

— واذا تنازلت اتكفل لي بانهُ لاتسفك نقطة من الدم . فوعده انور بك بذلك . وللحال اخذ الصدر الاعظم يكتب بيد ثابتة استقالته حتى اذا انتهى منها دفعها الى انور بك فخرج .

فترك نوراد نجيان افندي كامل باشا ليعلم ماذا حلَّ برفقائه فاجتاز الرواق ولم يرَ نسمة حية حتى اذا وصل تقريباً لاخره رأى جثة ممددة عَلَى الارض ولما وقع بصره عليها عرف ان تلك الضحية لم تكن الا جثة ناظم باشا وزير الحربية والدم يسيل من ثلاثة جراح في جبهته وصدغيه وجبهته مهشمة ولم تزل الاثار تدل على ذلك

وهكذا قتل ايضاً ياور ناظم باشا احد اقرباء شكري باشا بطل ادرنه

انطلق انور بك من بعد خروجه من الصدارة العظمى الى جلالة السلطان ولم يمضِ نصف ساعة حتى عاد وبيده ارادة سنية بارجاع الاحكام الى جمعية الاتحاد والترقي بشخص الصدر الاعظم محمود شوكت باشا وزير الحربية السابق .

اما النظار فعادوا الي منازلهم وكلف محمود شوكت باشا نوراد نجيان افندي ان يبقى ناظراً للخارجية فابى . ونقلت جثة ناظم باشا في ذلك الليل ودفنت عند الفجر .

تأثير قتل ناظم باشا في اوروبا

ان ناظم باشا هو احسن قائد ولدته في هذه الاعصر الدولة العثمانية ولم يصل الى هذه الدرجة الا بكدّه واجتهاده واستحقاقه اذ ارتقى سلم النجاح درجة فدرجة بين قنابل المدافع واطلاق البارود وله في اوروبا شهرة واسعة وصيت حسن وهو محبوب من جميع الدوائر السياسية خاصة من الشعب الافرنسي ٠

بعد ان انكسر الجيش العثماني بقيادة عبدالله باشا في قرق كليسه ولولوبرغاس شمر ناظم باشا عن ساعده واكمل تحصين شاطلجه واضاف الى معاقلها شعلة من خبرتهِ ونشاطه فاضحت بفضله امنع من العقاب وقد ارجع الى الجيش العثماني المنهزم آمال الانتصار والغلبة عَلَى الاعداء وجل مايقال عنه انه يوقف خصمهُ عَلَى حده ولم تكن شاطلجه امنع كثيراً من قرق كليسه وادرنه قبل استلامهِ القيادة ٠ ولقد وجد بهِ المتحالفون اثناء الهدنة رجلاً خبيراً وقد قال دانف السياسي البلغاري الشهير ٠ (ان الحظ لم يتح لناظم باشا ان يكون غالباً ولكن عزة نفسهِ وحسن سلوكه كانتا تجبرانا عَلَى احترامهِ وتقديره حق قدره اما الآن كسياسي فاسف لموتهِ كثيراً اما كعدو ففرحي يفوق الوصف لان العثمانية خسرت بهِ ساعدها الايمن)

صدى الانقلاب واسبابه

لم يكن هذا الانقلاب ابن يومه بل حيكت خيطانه منذ زمن مديد وتربص الاتحاديون حتى ذاك اليوم فاصدروا امراً من محافظة الاستانة بنقل الجنود الائتلافية في العاصمة ووضعوا محلها جنوداً تميل الى الاتحاديين ٠

وكانت هناك دلائل اخرى تدل على قرب وقوع الحادثة وهو تغيب اثنين من اعضاء الجمعية الاتحادية العاملين عن الجمعية الوطنية الكبرى المنعقدة في ٢٣ كانون الثاني في قصر طولمه بغجه وهما محمود شوكت باشا وحقي باشا . كما ان سكوت الحاضرين منها كان يجب ان ينبه افكار الوزارة الكاملية ولكنها لم ترد ان تقلق لخطر حقيقي بل اهتمت بخطر آخر حتى ان ناظم باشا عينه كان يعتقد ان اعداءه تناسوا احقادهم امام الخطر المحدق بالوطن فعين منهم عدداً ليس بقليل بوظائف هامة ومنهم انور بك وفتحي بك وجمال بك الذين بموافقة غيرهم من كبار الجمعية اعدّوا هذا الانقلاب في فينا عاصمة النمسا تحت ادارة السفير العثماني حسين حلمي باشا وبحضور بعض رجال السياسة النمساوية وفي سفارة باريز ايضاً تحت رئاسة رفعت باشا كتبت الخطة المتوجب على الجمعية اتباعها وقد حدث ذلك في وقت فشلت فيه عساكرنا امام الاعداء، ونظر الينا البلقانيون شذراً وكشرت بعض دول اوروبا عن انيابها على العثمانية لتلتهم اول قطعة تسقط من مائدة سياستها

الفصل الثاني

الرجوع الى الحرب

لقد قضي الامر وفاز خصوم القتال على اعداء السلام ودوى في الساعة الثامنة من نهار الثلثا الواقع في ٤ شباط اول مدفع بلغاري حول ادرنه وفي تراقيه وشاطلجه وقد افادت الهدنة ليس فقط العثمانيين بل البلغاريين ايضاً لانهُ لم يكن لديهم قبلها بطاريات تضاهي هذا العدد ولا مدافع كذا ضخمة بخلاف اليوم كذا قل عن مركزهم امام شاطلجه ومركز حلفائهم امام اشقودره ويانيا ٠

اما خطتهم فهذه هي : سيحصرون معظم قواتهم حول ادرنه طالما هي العقبة الكؤود في سبيل نجاحهم وعقد الصلح وقد ارجع البلغاريون عَلَى اثر عقد الهدنة الى الوراء البطاريات التي كانوا قد وضعوها عَلَى خط قره سو الايمن تجاه المعسكر العثماني في شاطلجه ونقلوا معسكر الجيش الثالث من ارمن كوي الى تشركس كوي والسبب في ذلك ان البلغاريين يرون انهم لا يحصلون على فائدة بمهاجمة شاطلجه ما دامت ادرنه مقاومة لهم لاسيما ان هذه المهاجمة تضطرهم الى تضحية عدد كبير من رجالهم لذا تقهقروا الى الوراء ليضطروا العثمانيين الى الخروج من استحكاماتهم واتباع خطة الهجوم وهم يزعمون انهم يتغلبون عَلَى العثمانيين اذا ماهجموا عليهم ٠ وقد ارسل السربيون ٦٥ الفاً من جنودهم ليقوموا بحصار الجهتين الجنوبية والغربية وهما الجهتان الاوفر قرباً من الاستحكامات وقد بذل اليونان جهدهم لاقناع الحلفاء عَلَى استئناف القتال رغبةً منهم بالاحتفاظ بسلانيك وقد ترددوا اولاً في اخذها ثم قرروا ان تكون يونانية وجاهروا ان الملك جورج لايخرج منها الا بقوة السلاح ٠ لكن مهما يكن الامر

فاليونان سوف لا يشتركون في القتال لا في ادرنه ولا في شاطلجه و يظهر الحلفاء انهم سيضربون غاليبولي و يدخلون الاستانة من هذه الجهة ان قدر لهم وربما عللوا النفس بتدمير حصون الدردنيل من البرّ حتى يتيسر لهم تسيير الاسطول اليوناني في المضيق والوصول الى الاستانة ٠

واخذ المندوبون يتركون لوندره رغماً عن نشاط الدول في منع القتال ثانية وفي ١ شباط سلم المعتمد السربي الى رشيد باشا لائحة المفاوضات وقد اعلنوا بها انهُ نظراً للحوادث الفجائية في الاستانة قد انقطع كل امل بالمفاوضات السلمية وقد انقطعت منذ هذه الساعة جميع العلائق الدولية بين الدولة العثمانية و بين المتحالفين وجميع المفاوضات التي ابتداؤا بها بتاريخ ١٦ كانون الاول سنة ١٩١٢ وقد سأل رشيد باشا المسيو كرويتش المعتمد السربي اذا كان يرد جواباً على مذكرتهِ فاجابهُ بالسلب وعند آخر نظرة بين الاثنين اسدل الستار عَلَى ثالث حادث من حوادث البلقان المهمة

وفي الدقيقة عينها التي سلم بها معتمد السرب لرشيد باشا مذكرة الحلفاء تقدم الجنرال سافوف فاعلم عزت باشا بانقطاع الهدنة ابتداء من الساعة الثامنة مساء ٠ وقبل ان ينتظر الحلفاء جواب الباب العالي لمشورة الدول بداؤوا بالقتال لانهم علموا ان الوزارة الاتحادية لا تقبل بمطالبها والا لما قلبت وزارة كامل باشا ٠ وقد جاء جواب وزارة محمود شوكت باشا مطابقاً لما كان اقترحه كامل باشا من جعل مدينة ادرنه مشتركة بين الدولتين اي ان القسم القائم عَلَى الضفة اليمنى من نهر ماريتزا يعطى لبلغاريا والقسم الثاني مع ما فيهِ الاماكن المقدسة وقبور سلاطين آل عثمان يبقى الى تركيا اما الجزر فستبقى تحت سيطرة العثمانية خاصة تلك التي تحمي الساحل الاسيوي ٠ فرفض البلغاريون هذه الاقتراحات غير انهُ تبين من هيئة جواب الباب العالي انه يخفض ايضاً مطاليبهُ وانهُ يبقي باب المفاوضات مفتوحاً الى اجل غير معين بيد ان الحلفاء قد سئموا المفاوضات مع الباب

العالي فلجأوا الى السلاح وهذا ماجعل اوروبا تنفر نوعاً منهم لانهُ في جميع العواصم الاوروبية قد عقدت النية على المداخلة منعاً للقتال حتى في بطرسبرج وبرلين وفينا · وليس فقط ان روسيا نصحت بلغاريا بالاعتدال والتوددة واعلنت انها لاتتداخل في امورها الا اذا غزيت ارضها وليس فقط المانيا تعهدت انها لاتمد يد المساعدة المالية الى العثمانية قبل عقد الصلح بل ان امبراطور النمسا فرنسوى جوزيف رغبةً في السلم ارسل من لدنهِ برسالة خاصة البرنس هوهنلوه شيلينكسفورست الى بطرسبرج لجلالة امبراطور روسيا نيقولا الثاني وهذا التحرير من الامبراطور الشيخ الذي كان دائماً دعامة للسلم الاوروبي لايمكن ان يكون الا حمامة نوح تحمل في فمها غصن البشائر بدك اركان الحرب كما انهُ يظهر ان الوفاق بين رومانيا وبلغاريا سيتم قريباً بواسطة روسيا في بطرسبرج ·

ومما يقضي بالعجب ان رشيد باشا لم يترك لوندره رغماً عن قطع المفاوضات السلمية ولعلعة المدافع فوق حصون شاطلجه وامام ادرنه ·

ادرنه واشقودره

لم يخب ظننا لما اعلنا في الفصل الغابر ان البلغار بين سيصوبون نيرانهم الحامية على حصون ومعاقل ادرنه فقد ظلوا منذ استئناف القتال حتى يومنا هذا يرمونها بقنابلهم بشدة عظيمة وامطروا قلعتها من اعالي معاقل جوروك وفيران بنيرانهم المحرقة ولم يرتضوا اخيراً بصب وابل غضبهم على القلعة فقط بل على جميع الحصون حتى وعلى المدينة ذاتها وبلغ اطلاق المدافع اشدها حتى ان المار على خمسة وعشرين كيلو متراً بعيداً عنها كان يقف مراراً ليمد طلقات المدافع الحاصدة وفشا الرعب في جميع طبقات السكان فاخذوا يفرون من شارع الى شارع ومن بيت الى آخر لايعرفون

اين يلتجئون ولم يبقَ لديهم الا الذخائر الاكثر ضرورة للحياة و بلغ الضيق بهم حده حتى ان قناصل الدول طلبوا من القائد شكري باشا ان يوجد منطقة حرّة يلتجىء اليها الاجانب من لهيب نار البلغاريين وقد الحت الحكومة الافرنسية عَلَى المحاصرين ان يتركوا الاجانب البالغ عددهم مائتي نفس يخرجون سالمين من المدينة فرفضت حكومة بلغاريا الطلب مستندة بذلك على قرار المانيا الذي اصدرتهُ سنة ١٨٧٠ لدى محاصرتها باريس · اخيراً قبلت بلغاريا نظراً لشدة مطالبة فرنسا بخروج الاجانب من ادرنه غير ان هولاء ابدوا من الانسانية مايشكرون عليهِ اذ رفضوا الخروج منها اسوة ببقية المحاصرين وقد بعث اليهم الصدر الاعظم برسالة برقية يبلغهم بها شكره وامتنانهُ لعواطفهم الجميلة وقد عينت الحكومة العثمانية محلاً لهم قرب محطة السكة الحديدية ليلجأُوا اليهِ ·

وقد ابدى شكري باشا من الشجاعة والدراية والبسالة ما جعله اشهر من نار عَلَى علم حتى بين صفوف البلغاريين انفسهم واعلن انه من المستحيل ان يسلم المدينة الا خاوية خالية او ان يخرج منها ظافراً ·

وفي ١١ شباط خرج حقي باشا الصدر الاسبق تاركاً الاستانة قاصداً لندره عن طريق باريس لتمهيد الصلح واعداد الوسائل اللازمة لتخرج الدولة من هذه الحرب المشؤومة بشرف ·

اما البلغاريون الذين شعروا ان لافوز لهم قبل سقوط ادرنه الا بدخول الاستانة اخذوا يشمرون عن ساعد حزمهم وعزمهم لبلوغها عن طريق شبه جزيرة غاليبولي فهجم الجنرال كوفاتشوف في ١٠ شباط عَلَى جنود فتحي بك صديق ورفيق انور بك في الحرب الطرابلسية فهزم جيشهُ شر هزيمة ولما وصلت الاخبار الى الاستانة عزمت الجنود العثمانية على اخذ ثأرها في شاطلجه فزحفت عَلَى البلغاريين وقاتلتهم لكنها ارتدت على اعقابها بعد ان كبدت العدو خسائر جسيمة ولم تبدِ اشقودره بقيادة بطلها مقاومة وشجاعة اقل

من ادرنه و يانيا غير انها التزمت اخيراً ان تتقهقر امام جيش الجبل الاسود الذي استولى بالقوة عَلَى مركز بارانبول المطل عَلَى حصون طرابوش غير انهُ مهما زاد في قوتهِ و بسالتهِ فلا يقوى عَلَى الاستيلاء عليها الا بمدافع الحصار الضخمة وقد بدأ يشعر بذلك ويتجنب كثيراً الهجوم عَلَى تلك الحصون لان ذكر اندحاره لم يزل معلقاً في مخيلته لدى هجوم القائد الباسل حسن رضا باشا عليه لذا عقد النية ان لا يهاجمهُ الا بعد ان تفتح له مدافعهُ طريقاً واسعة امامهُ والحق يقال ان الاستيلاء عَلَى حصون طرابوش في غاية الصعوبة نظراً لعلو هذه الحصون البالغة ثلاثمائة متر متوجة باحسن واعظم الاستحكامات العصرية غير انهُ بمساعدة جيش السرب و بمدافعه الضخمة كان يؤمل ان يدخلها ظافراً ٠

اما في لوندرا فكان مؤتمر السفراء يشتغل بكل نشاط لحل هذه المسائل الغويصة بيد ان مناظرة روسيا والنمسا الهتهُ نوعاً ما عن حلها وقد اخذ يسعى جهده قبل كل شيء للتوفيق بينهما اجتناباً لحرب اوروبية تشيب من هولها الولدان ٠ اما النمسا فكانت تجتهد بالحاق اشقودره الى البانيا وروسيا لتركها للجبل الاسود مكافأة لخسارتهِ ونشاطهِ ٠ وقد طلب توفيق باشا سفير الدولة العثمانية في لندرا الى السير ادوار غراي مداخلة الدول العظمى لوضع اوزار الحرب والاسراع في عقد الصلح لكن هذه اعرضت عن ذلك الطلب حرصاً عليها من الفشل مرة ثانية واعلنت انها لا تعرض وساطتها عَلَى المتحاربين الا اذا كانوا يرضون تماماً بكل ماتقرره بشأن الصلح والاراضي المختلف عليها ٠

وزاد فشل فتحي بك في غاليبولي همتهُ ونشاطه فاراد ان يعوض ماخسره فهجم عَلَى البلغاريين مرة ثانية في ١٤ شباط واصلاهم ناراً حامية في بولاير ٠ فعنَّ لانور بك ان يكيد لاعدائهِ ويقطع عليهم خط الرجعة فعبر مع قسم عظيم من جيشهِ الجسر وانساب بين الوديان حتى قرب

منهم فشعروا به وانقضوا عليهِ فجأةً في كمين اعدوه له فانهزم واضطر ايضاً فتحي بك ان يتقهقر بجيشهِ وقد كلفت خطة انور بك الجيش العثماني اربعة الآف وخمسمائة قتيل في تلك المعركة المفجعة وارتد الجيش العثماني الى بولاير وتحصن فيها تحصيناً متيناً ·

وهجم جيش الجبل الاسود عَلَى حصن باردانجالي (بردانيول) ثانية فاستولى عليهِ بتمامهِ مع حصنين اخرين من حصون طرابوش غير انهُ فقد في هذا الهجوم ثلاثة الآف رجل فلم يبقَ لديه من جيشهِ البالغ في اوائل الحرب ٤٥ الفاً الا ٣٢ وقد كلفهُ ذلك الحصار مالاً ومؤونـة وذخائر ورجالاً اكثر مما يناله من استيلائه عَلَى اشقودره · ولما رأت النمسا عجزه عن اخذها عنوةً شددت طلبها بالحاقها بالبانيا واتبعت ايطاليا سياستها مكرهة · والسبب في مناوأة الجبل الاسود هو ان النمسا لاتود مهما كلفها الامر ان يشتد ساعد ذلك الجبل الصغير لئلا يصبح يوماً ما مزاحماً لها في تجارتها اذا ما اتحد مع الدول البلقانية والفت جميعها دولة واحدة ولان ما تضيفه الى البانيا سيعود اليها يوماً ما بالخيرات والمزروعات ·

سقوط يانيا وكيفيته

اذا كان انهزام الجنود العثمانية في هذه الحرب المشؤومة قد احط من شهرة الجيش العثماني فلا تزال المدن المحصورة كادرنه واشقودره ويانيا تبرهن للعالم اجمع ان ذلك الجندي الباسل لازال كما كان مثال رجال الفخر والبسالة لان الشجاعة الغريبة التي ابداها اولئك الجنود تفوق الوصف وترجع للجيش العثماني مافقده في خلال هذه السنة من الصيت الحسن والبسالة العظيمة ·

قاومت تلك المدن الثلاث مقاومة غريبة وكان من الطبيعي سقوط كل مدينة محصورة آجلاً او عاجلاً فقد سقطت تلك المدينة العظيمة في

ايدي اليونان وكان سقوطها عظيماً لا سيما وهي المدينة الاولى التي اخذت من المدن الثلاث المحصورة · بعد ان انكسرت الجيوش العثمانية في موناستير جاءت يانيا وتحصنت بها ووضعت عَلَى حصونها مئة مدفع ضخم واكتفت يومئذٍ الجنود اليونانية بمراقبة المدينة دون ان تهجم عليها ومنع الذخائر المدوي ارسالها من تراقية او من مكدونيا بطرق مختلفة لان الجنرال اليوناني سابوندزاكيس كان عقد مجلساً وتباحث امام حصونها بامرها واذ لم تكن لديهِ قوات كافية ومؤن وذخائر وافية تضمن له الانتصار فضل حصر نطاقها عَلَى مهاجمتها لان الانكسار كان مرجحاً لديهِ اكثر من الانتصار · لكن بعد استيلاء اليونان عَلَى سالونيك نقل البرنس قسطنطين ولي عهد اليونان جيوشهُ الى امام يانيا مع عدد عظيم من المدافع المعدة للحصار واخذ يضربها بقوة هائلة واستلم قيادة الجيش وضرب حولها نطاقاً كبيراً وحاصرها من كل جهاتها وابتدأ يقذف نار مدافعهِ عليها حتى اخذ عنوة حصن بيزاني واستولى عليها بعد قليل بتمامها وقد ابدت الجنود اليونانية بسالة عظمى وشجاعة عجيبة حتى قدرت ان تجبر مناعة المدينة وجلد العثمانيين وبسالتهم عَلَى التسليم لها · وباخذ يانيا قد استولت عَلَى جميع ولايات الابيره وقدرت ان ترسل جنودها لمساعدة البلغار بين دون ادنى مقاومة وان تحصل عَلَى مطاليبها بسهولة اكثر من الاول ·

اجل سقطت يانيا ولكن بعد ان دافعت دفاع الابطال ويقولون تبعة سقوطها عَلَى جنود الارناؤوط الذين هم من عداد الحامية فقد بدأوا يفرون بسلاحهم في بادىء الحرب عشرات ومئات والوفاً حتى لم يبق في القلاع الا جنود الاتراك فقط ولقد ادى بهم الأمر الى ان يأكلوا خبز الذرة وكان يصيب الواحد منهم يومياً مائة درهم فقط فوقع اكثرهم مرضى حتى لم تعد تسعهم المستشفيات ووجد بها عدا المستشفيات النقالة خمسة الآف مريض وبلغ عدد الوفيات منهم من ٥ تشرين الاول

لواحد وثلاثين كانون الثاني ١٨٣٠ ومن اول شباط لواحد وعشرين منهُ ثلاثة الآف فضلاً عن الذين ماتوا جوعاً وبرداً ونفدت القذائف في ٧ كانون الثاني حتى ادخلت المدافع الى المستودعات وكان يوم ١٩ شباط يوماً عصيباً عَلَى يانيا حيث امطر اليونانيون الحامية وابلاً من المقذوفات الملتهبة وفي صباح اليوم الثاني هجمت القوات اليونانيه وعددها ١٠٥ آلاف هجوماً شديداً فانهزم الالاي الثامن والستين الذي كان عَلَى روابي جبل تشوقا في الجناح الايمن وطابور الرديف (بره مدي) الذي كان في استحكامات (به رلسترا) فاستولى اذ ذاك اليونانيون عَلَى موقع مانولاحس وجرت هناك موقعة عظمى بالسلاح الابيض لنفوذ الجبخانه من ايدي العثمانيين وعندما نفدت الذخائر من استحكامات بيزاني اخذ القائد اسعد باشا يشجع الجنود عَلَى المقاومة ولكن اليونان لم يرتدوا بل هجموا هجمة صادقة على جنود الحامية واستولوا عَلَى المدينة ٠

خسر اليونانيون في هذه الموقعة نحو ستة الاف بين قتيل وجريح اما العثمانيون فبلغت خسارتهم اربعة الاف بين قتيل وجريح واسر منهم ستة عشر الف جندي لان حامية يانيا كانت عشرين الفاً في ٢٠ شباط اي عند الاستيلاء عَلَى استحكامات بيزاني كما افادت الاخبار والتلغرافات العثمانية ٠

اما اسباب سقوط يانيا فكثيرة منها اربعة مهمة ٠

اولاً كثرة اليونان وقلة الحامية العثمانية ٠

ثانياً فرار الجنود الارناؤطية وتسليم انفسهم الى اليونانيين يوماً فيوماً

ثالثاً الجوع المخيف

رابعاً نفاذ الذخيرة لان يانيا لم تسقط الا بعد ان اطلقت آخر قذيفة وافرغت آخر كيس من الدقيق ٠ وبعد هذه المقاومة امن الانصاف ان لا يعترف للجندي العثماني ببسالتهِ وتفانيه في خدمة الوطن ؟

لم تتعدد المشاكل ولم تكتنفها المصاعب في زمن من الازمان كما تعددت في الحرب البلقانية فان معتمدي الدول لم يكادوا يفرغون من تحديد حدود البانيا واعطاء ثغر للسرب على البحر الادرياتيكي ومن تسوية مسألة صوفيا وبخارست من جهة سيلستريا وتقسيم جزر بحر ايجه وانهاء الخلاف الواقع بين السرب والنمسا وهذه وروسيا وتسوية مسألة ادرنه واشقودره وتعيين الحدود العثمانية وقبول العثمانيين وساطة الدول دون ادنى شرط حتى قام الحلفاء بعد انتصارهم في بولاير وسقوط يانيا يطالبون بغرامة حربية ويصرون عَلَى اخذها واعلانهم بعدم القاء السلاح من ايديهم الا بعد ان تعطى لهم جميع مطاليبهم وان يمتد الحد الفاصل بينهم وبين العثمانية من رأس مالاطا حتى رودستو وبهذه الطريقة يستولون عَلَى ادرنه ويتركون للدولة العثمانية شبه جزيرة غاليبولي لكنهم لايتنازلون عن اشقودره وجزر بحر ايجه وكريت وان تكون الغرامة الحربية معادلة لمصارفاتهم التي انفقوها منذ ابتداء الحرب الى عقد الصلح ويحتفظون بحق تسوية المسألة الاقتصادية وحفظ رعاياهم وحمايتهم مباشرة مع الدولة العثمانية ٠

الفصل الثالث

الفظائع البلقانية

التاريخ صحيفة تضم بين سطورها اعمال الرجال العظام وحسناتهم وسيئاتهم وكيفية مجرى الحوادث واسبابها ونتائجها ٠ فهو لايشفق ولا يرحم ولا يغضب ولا يبالي بل يأتي بالاخبار عَلَى علاتها سواء حسنت او ساءت لانه هو القاضي العادل الذي لايميل مع الهوى لذا فلا بد لنا هنا

من تدوين الفظائع التي ارتكبها البلقانيون فبرهنوا للعالم ان خمرة النصر اسكرتهم ولولا هذه السكرة لكان التاريخ يبض جميع صفحاتهِ ببسالتهم واقدامهم. ان الجرائم التي حدثت بعد معركة كومانوفو تفوق الوصف فان عسكر الصرب اضطر بعد هذه المعركة المؤلمة ان ينقل معسكره العام من سالونيك الى موناستير وفي ذات الوقت اضطر تحسين باشا للتقهقر نحو سالونيك بعد خسارة المعركة فتبعهُ اليونان والبلغار من بعدهم وفي غد دخولهم المدينة خرقوا معاهدة التسليم وانصرفوا الى النهب والسلب في مخازن الفحم والحطب والبيوت ولم يتركوا فيها شيئاً من الوقود وبعد بضعة ايام اقتصوا من الاهلين بحجة انهم اضرموا النار في معمل البارود الكائن داخل الثكنة الخاصة بالمدفعية مع ان الفاعلين هم البلغاريون واليونان لايجهلون ذلك. وقد اغاظ البلغار في معاملة من كانوا يلقونه في سبيلهم لان الحرب التي كانوا يشهرونها و يضرمون نارها كانت للأخذ بثارهم ولم يكونوا يكتمون ذلك بل كانوا يجاهرون به. وقد احرقوا قرى عديدة كقرى دويران، ومتروفيتزا، وعور تحصار، ودمير حصار، و بيبرتشن، وجمعه، بالاورازلك، وصارى شعبان وكثيراً غيرها ولم يكن الصرب ارق قلباً من البلغاريين في الجهات التي احتلوها كانهم كانوا مع البلغار فرسي رهان في مضمار الشر.

ولم ينج العثمانيون ايضاً من الانتقاد اذ احرقوا في شاطلجه اربع قرى خوفاً من تسليمها للبلغاريين. ولو اتينا علَى ذكر ما كان موضوع انتقاد في هذه الحرب لاحتجنا الى المجلدات الضخمة ولسنا نكتب عن هوى بل ندون قيراطاً من اربعة وعشرين مما نشرته الجمعية المخصصة لهذا البحث في الاستانة. فهذه هي احدى ويلات الحروب.

الفصل الرابع

مقتل الملك جورج

كان الملك جورج الاول ملك اليونان سائراً في ١٩ اذار في شارع سالونيك بصحبة احد ياورانه ففوجئ من الوراء بعيار ناري اطلق عليهِ ومات بعد نصف ساعة من اصابتهِ اما القاتل فهو يوناني الاصل من تساليا يدعى اسكندر سكيناس مختل الشعور وقد القي القبض عليهِ في الحال ودعا البرنس نقولا ضباط الجيش فاقسموا يمين الامانة للملك الجديد قسطنطين الذي لايزال في يانيا مع والدته الملكة اولغا وقد ابلغ ملك انكلترا نعيهُ رسمياً فسادت السكينة في كل بلاد اليونان وقد نقلوه الى اثينا حيث عرضت جثتهُ في الكاتدرائية الكبرى مدة ثلاثة ايام ثم دفنت في المقبرة الملوكانية وقد حزنت عليهِ اوروبا اجمع وتواردت البرقيات تترى معبرة عما يخالج فؤاد اصحابها العظماء من الحزن والأسف لفقده وفي بعض الممالك لبس عليهِ البلاط حزناً لا اقل من مدة ١٥ يوماً . وقد رأينا بهذه المناسبة ان نثبت اجمال تاريخ حياته

في سنة ١٨٦٣ هب اليونانيون عَلَى اتون نجل ملك بافاريا فخلعوه بعد ان حكم فيهم نحو ثلاثين سنة وولوا عليهم الملك جورج الاول ابن ملك الدانمرك كريستيان التاسع وقد ولد في كوبنهاغ في ٢٥ كانون الاول عام ١٨٤٥ وهو ثاني اولاد كريستيان التاسع وشقيق والدة قيصر روسيا ووالدة الملك جورج الخامس الانكليزي وشقيق ملك اسوج وقد تنزل عن حقوقهِ في الدنمرك لاخيه فلاديمير في ١٢ ايلول سنة ١٨٦٣ وسمح له ان يبقى انجيلياً عَلَى ان يربي اولاده عَلَى المذهب الارثوذكسي وفي ٢٧ تشرين

الثاني عام ١٨٦٧ تزوج من الغراندوقة اولغا كريمة الغراندوق قسطنطين وبنت اخ الامبراطور اسكندر الثاني قيصر روسيا فرزق منها البرنس قسطنطين ولي العهد والبرنس جورج والبرنس نقولا والبرنسس ماري وسنة ١٨٩٧ اعلن الحرب على الدولة العثمانية عقب ثورة كريت فلم يقوَ الا عَلَى تجهيز اربعين الفاً دون خيالة متينة وتقريباً دون مدافع فانهزم الجيش اليوناني انهزاماً شديداً من ادهم باشا قائد الجيوش العثمانية في لاريسا وفارساليا ودموكوس ولولا مداخلة اوروبا لمحقها العثمانيون وقد اخذوا منهُ قسماً عظيماً من بلاده والزموه بدفع غرامة حربية قدرها مائة مليون فرنك . فثار عليهِ اذ ذاك اليونانيون وكادوا يودون بحياته وتاجه ولولا مداخلة اوروبا عام ١٩٠٩ لكانت الحرب على قاب قوسين بينهُ وبين الدولة العثمانية .

وظل يتربص بالدولة العثمانية شراً حتى تولى رئاسة الوزارة المسيو فنزيلوس الكريتي فاخذ يتحبب الى الدولة حتى عادت العلائق بينهما الى التحسن وكان في الوقت نفسه يعمل بمساعدة وزيره فنزيلوس المذكور مع الملك فرديناند البلغاري على عقد التحالف البلقاني الذي اعلنت عليه الدولة العثمانية الحرب في ايلول سنة ١٩١٢ ولولا موتهُ لكان هذا العام موعد الاحتفال بيوبيله الذهبي لكنهُ قتل بعد ان رأت عيناه سقوط يانيا وسالونيك ورجوع مقدونيا والابيره الى العرش اليوناني .

وقد اعتلى بعده العرش البرنس قسطنطين الثاني عشر وكان مكروهاً من شعبهِ ولكن حسن حظهِ وبسالته في المعارك الاخيرة خاصة في ساراتنو بوروس وينيجه وسالونيك ويانيا احدث رد فعل فجعلاه محبوباً من اليونان ويبلغ من العمر الآن خمسة واربعين سنة وقد ولد في اثينا سنة ١٨٦٨ وبواسطة زواجه مع شقيقة الامبراطور غليوم الثاني الملكة صوفيا ونظراً لقرابتهِ مع قيصر روسيا وملك انكلترا فهو قابض عَلَى اعنة

الالتفات الاوروبي بكلتي يديه بيد انهُ مماصنع فهو لا يزال جنديًا لكن بمساعدة المسيو فنزيلوس يؤمل ان يجعل بلاده انموذجًا لجميع الممالك البلقانية ٠ وسيدعى الملك الحالي قسطنطين الثاني عشر خلفًا لقسطنطين الحادي عشر اخر ملوك القسطنطينية لدى فتح الاستانة سنة ١٤٥٣ ٠ ولم يفتح قتل الملك جورج في سالونيك بابًا اخر للمنازعات البلقانية التي ينتظر حدوثها من آن الى اخر لان اليونانيين والبلغار بين بدأوا يتقاتلون في ديمو بتكا النهار بطوله لكن روسيا لاتدع ربيباتها يتقاتلن بوجودها فهي حريصة عَلَى تحالفهن وانضمامهن بعضهن الى بعض ٠

اما حكومة النمسا والمجر فقد طلبت الى الجبل الاسود الانقطاع عن اطلاق المدافع عَلَى اشقودره حتى يستطيع الاهالي مغادرتها لكن الجبل الاسود رفض طلبها فافهمتهُ ان كل عمل حربي امام اشقودره يعد هباءً منثوراً لان الدول قررت الحاقها بالبانيا ٠ اما الملك نيقولا فاحتج عَلَى ذلك وواصل ضرب المدينة بقوة غريبة املاً بسقوطها قبل انعقاد الصلح ٠ فحثت النمسا الدول الاوروبية عَلَى اقامة مظاهرة قوية امام الجبل الاسود ليذعن الى قرارها ٠

الفصل الخامس

تاريخ ادرنه

تقع ادرنه عَلَى مسافة ٤٢٥ كيلو متراً في الغرب الشمالي من الاستانه وهي مبنية في موقع جميل تلتقي فيهِ انهار طونجه والمريج واردا ٠ ويمرّ بها هذان الاخران بعد اتحادهما بالطرف الغربي الجنوبي من المدينة اما الطونجه فيمرّ من داخلها وفيها سوقان عظيمان وستة جوامع كبيرة و ١٦٠

جامعاً صغيراً و ٢٦ مسجداً و ٢٤ مدرسة دينية ومكتبة تحتوي علَى ما يقرب من ثلاثة الآف مجلد و ١٨ كنيسة و ٤٢ تكية ومدرستان رسميتان اعداديتان احداها عسكرية والاخرى ملكية ومدرسة رشدية عسكرية وثلاث مدارس للاناث انشأتها الحكومة و ٦٠ مدرسة مختلفة ومدرسة زراعية وثلاثة مستشفيات احدها عسكري وواحد للبلدية والاخر للراهبات وفيها ساعة كبرى موضوعة علَى اكمة عالية جميلة البناء وعلَى الانهر سبعة جسور وفي اطراف المدينة حصون عظيمة وفي الجهة الشمالية قلعة قديمة و يحيط بالمدينة كروم وبساتين كثيرة واكبر جوامعها واجملها صنعاً جامع السلطان سليم الثاني فسمي باسمهِ وله ثلاث شرفات واربع مآذن و ٩٩٩ نافذة وثانيها الجامع الذي بناه السلطان مراد الثاني وله ايضاً ثلاث شرفات واربع مآذن وهي اكبر واعلَى المآذن في الدنيا وثانيها مآذن السلطان سليم وثالثها ايا صوفيا في الاستانة ٠ وثالثها الجامع القديم بداء ببنائهِ الامير سليمان الملقب بالصاعقة واتمهُ السلطان محمد خان چلبي وله مأذنتان وبها سراي خربة واطول جسر بها جسر السلطان ميخال الغازي وطوله ٧٥٨ متراً وعرضهُ ثمانية امتار واكبر سوق بها سوق علي باشا في وسط المدينة وله ستة ابواب وفيهِ ٢١٦ مخزناً ٠

وتصنع في ادرنه المنسوجات القطنية والغزلية والحريرية الجميلة ومدابغها كثيرة وفيها معامل لماء الورد والمدينة قديمة جداً اسمها الاصلي اورسياس وفي القرن الثاني للمسيح وسعها وزينها الامبراطور الروماني ادريانوس فسميت باسمهِ ودعاها الافرنج اندرينوبل وخففها الاتراك فسموها ادرنه وقد افتتحها السلطان خداوندكار الغازي سنة ٧٦٣ وسنة ٨١٣ استولى عليها البلغاريون وسنة ١٣٦١ استولى عليها السلطان مراد الاول فاتخذها عاصمة للسلطنة العثمانية وظلت كذلك حتى فتح محمد الفاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وجعلها عاصمة ملكه ولكنهُ لم يدفن فيها احد من السلاطين

فالسلطان مراد الذي استولى عليها توفي سنة ١٣٨٩ ودفن في سهل قوصوه والسلطان بايزيد مات في اسر تيمورلنك والسلطان مراد الثاني مات في ادرنه لكنهُ دفن في بورصه كما دفن فيها محمد الثاني الملقب بالفاتح والسلطان سليم الثاني باني الجامع الشهير دفن في جامع ايا صوفيا في الاستانة وقد احتل الروس ادرنه سنة ١٨٢٩ وسنة ١٨٧٨ ويبلغ عدد سكانها مائة الف نسمة وبها من العساكر ٦١ الف جندي و ٧٠ الف بندقية و ٦٥٠ مدفعاً وحصونها شهيرة ٠

وكانت لها تجارة واسعة غير انهُ لما انفصلت الروملي الشرقية عن املاك الدولة العلية سنة ١٨٨٥ ضاق نطاق متاجرها بعد ماكانت مركز حركة تراقية التجارية فانتقل جانب عظيم من تجارتها الى فيليبولي ٠ وولاياتها اكبر ولايات الدولة العثمانية مساحتها ٤٢٥٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها ٩٧٢٦٧٨ وتقسم ولايتها الى ستة سناجق و ٣١ قضاء و ١٠٩ انواحٍ ولكل من الاقضية متسع فسيح وتمتاز هذه الولاية بحبوبها وخصبها وحريرها ولها تذكارات جميلة قديمة منها معاهدة ادرنه الاولى بين السلطان مراد الاول والجمهورية راكيزة اذ تعهدت بها بدفع خمسمائة ليرة ذهبية سنوياً مقابل اعطائها حرية التجارة وبها ضربت اول طغراء عثمانية في ايام السلطان المذكور تحت ظله خفقت بها ايضاً اول راية عثمانية لونها احمر دلالةً على حب الوطن والغزوات و يتوسطها الهلال اتباعاً للسنة الهجرية ٠ اما النجمة فاضيفت بعدئذٍ كزخرفة وبها توفي خيرالدين باشا وزير السلطان مراد الاول ٠

مناعة ادرنه

اذا امعنا النظر في مدينة ادرنه من الوجهة الحربية الفنية رأينا انها مطوقة بقلاع وحصون منيعة لان الحكومة العثمانية بذلت مجهودات كبرى لاصلاح هذه الحصون وترميمها حسب الاصول العصرية منذ ثلاث سنين يوم قدم عزت باشا برنامجهُ لاجل اصلاح الجيش العثماني وسبق للحكومة العثمانية انها منذ سنة ١٩٠٨ اعطت الاوامر بجعل المدينة حصينة من اول طبقة ويبلغ محيط سلسلة الحصون التي تكتنف المدينة ٣٥ كيلو متراً ومن هذه الحصون ٢٠ حصناً مشيداً عَلَى نهر ماريج وخمسة امام قره قاش وهناك عقبة كؤود تحول دون تضييق نطاق الحصار في فصل الشتاء ناشئة عن وجود قسم كبير من حصونها في محل ملتقى نهر مريج بنهر اردا وطونجه فتفيض في ذلك الفصل وتغمر الحصون وتجعل الدنو منها متعذراً ٠

وبعد هذا وذاك فمن الخرق في الرأي الاعتقاد بان المدينة صارت الى حالة لايمكنها معها مواصلة المقاومة لاننا لم نسمع ان بطلها القائد المغوار شكري باشا حاول ان يتخلص من الذين يقتاتون من مؤونة الحامية ولا فائدة من وجودهم تحت نطاق الحصار لان قائداً عظيماً اظهر من المهارة والنشاط نظيره لايترك حاميتهُ تتألم من الجوع ليطعم مائة الف شخص من الاهالي واذا فرضنا ان هيضة الهواء الاصفر والديسانطاريا فتكت في حامية كفتكها في الجيش العثماني والبلغاري فيحتمل ان شكري باشا لقي بعض الصعوبة فوضع جنوده في كل الحصون التي تحمي المدينة وعَلَى كل الاحوال انهُ كان لديهِ كمية وافرة من الاسلحة والذخيرة والمؤن وكان قد عزز حاميتهُ بواسطة اهالي المدينة ٠ بقي علينا ان نقول كلمة اخرى وهي انهُ لم يمكن الاستيلاء عليها الا بالهجوم الذي

أُريق فيه الدماء الكثيرة فالمدينة كانت منيعة جداً لا تسقط الا في قبضة عدو تمسك باهداب الصبر والاناة وضحى في سبيلها كثيراً من جيشهِ

تفصيل حصار ادرنه

لما اعلن في ٣٠ ايلول اتفاق فيلقي البلغار والصرب لمهاجمة الدولة العثمانية تلقت الدوائر هذه الانباء في اوروبا ببرودة زائدة زاعمة ان هذه الحركة ليست الا من نوع (البلف) ويراد منها ارهاب العثمانية فتسارع مخبرو الجرائد الى صوفيا ليتحققوا هذه الاخبار فلم يسمعوا سوى صوت التوصية من اولياء الامر ان يكتموا مسألة الحرب التي ستقع بين البلقانيين والدولة العثمانية . وكانت اراء الجميع مجمعة عَلَى ان النصر سيكون حليف العثمانيين واخذ القوم يتسألون هل ابتدأت العثمانية بجلب الفرسان الاكراد والعساكر القوية من سوريا ؟ ولكن سوء التدبير ان الغلبة ستكون بدون شك للبلقانيين . ولم يمض سبعة عشر يوماً الا وكانت العساكر البلغارية عَلَى اتم الاستعداد لخوض غمار الحرب وفي الحقيقة اجتمع ثلاثة فيالق بلغارية في ١٦ تشرين الاول وفي ١٨ منهُ تلا فرديناند الامر بالهجوم فكانت العساكر تطلق القنابل والرصاص عَلَى مصطفى باشا .

قلنا فيما سبق ان خطة بلغاريا الحربية كانت محاصرة ادرنه والاستيلاء عَلَى قرق كليسه في هجوم واحد والاندفاع على الجيش العثماني في ديموتيكا وتشورلو ومع كل ذلك لم تكن تؤمل بلغاريا اخذ ادرنه بموجب هذه الخطة وعليهِ كان محور الحركات البلغارية دائراً عَلَى التوصل لاجبار العثمانيين الموجودين آنئذٍ امام ادرنه للانسحاب الى ماوراء الاستحكامات فلذلك كان تقدم البلغار بين بطيئاً وقد نالوا امانيهم بعد المواقع التي جرت عَلَى ضفتي نهر مريج وكان سقوط جسر مصطفى باشافي

العشرين من تشرين الاول فانسحبت الجنود العثمانية الى ساحل نهر مريج من الجهة الجنوبية وعَلَى اثر ذلك سقطت قره اغاج وقاضي كوي ويلدير كوي بحوزة البلغاريين وعندما بدأت الجيوش البلغارية بالتقدم من الجهة الشمالية من نهر مريج كانت القوات العثمانية تتراجع الى الوراء عَلَى طول خطي مصطفى باشا وادرنه فاستولى البلغاريون المحتشدون في قزل آغاج عَلَى قرية حاواراس وعبثاً كانت مقاومة العثمانيين في جهة ارناؤوط كوى فعلى هذه الصورة اصبحت الجهة الشمالية الشرقيه من ادرنه خالية لهم . فاخذ حينئذٍ البلغاريون يحاصرون ادرنه عَلَى شكل نصف دائرة مساحتها ثلاثة عشر كيلو متراً ثم حدثت وقعة لولو برغاس وفقدت الجيوش العثمانية قيمتها الحربية في هذه المعركة واكمل البلغاريون حصار ادرنه بعد ان اصبحت الاراضي الواقعة في جنوبيها والجنوب الشرقي في يدهم فاجتازوا حينئذٍ نهر اردا من الجهة الغربية وبعد بضعة ايام استولوا عَلَى الخطوط الحديدية ثم اخذوا ينقلون المدافع الثقيلة للحصار عَلَى عجلات تجرها البقر ويضعونها امام ادرنه وضاعف الجنرال افيانوف القوات البلغارية المحاصرة بالرديف وبالقوات الصربية وابتداء شكري باشا يخرج بجيشه عَلَى المحاصرين لخرق الحصار حتى تمكن من طرد الفرقة الثامنة البلغارية التي كانت عَلَى الجهة الغربية الجنوبية من ادرنه وبقيت الحال عَلَى هذا المنوال حتى تمكن البلغاريون من الاستيلاء على المواقع العثمانية في تلول قارتال ورغم ذلك كلهُ هجم العثمانيون على البلغاريين وكبدوهم خسائر جسيمة ومما زاد في خسارتهم جهل رجال المدفعية كشف المواقع ليلاً حيث كان العثمانيون يصبون عَلَى البلغاريين وابلاً من مطر الرصاص وكثيراً ما اطلق البلغاريون النار عَلَى بعضهم في وسط الليل البهيم .

ولقد قطع شكري باشا الامل من اخذ المدد من الخارج فاستبسل واخذ يدافع دفاع الاسد عن عرينه رغم المجاعة التي حلت في ادرنه

حتى سقطت اكثر حصونها في قبضة البلغاريين وبعد هجوم عام قام بهِ البلغاريون والصربيون سقطت المدينة وسلمت للعدو في ٢٧ اذار ·

اشهر الحصارات

ادرجت ادرنه بين المدن التي اشتهرت بالحصار في العالم وزادت حلقة علَى سلسلة الدفاع المجيد في التاريخ · اما اشهر المدن والمواقع التي حوصرت وكان ثباتها فخراً للمدافعين فهي : اولاً جبل طارق حاصر فيها الانكليز الاسبانيوليين من عام ١٧٧٩ الى عام ١٧٨٣ وفي الختام فك الحصار

ثانياً سباستبول حاصرها العثمانيون والانكليز والفرنساويون متحالفين الجيوش الروسية من عام ١٨٥٤ الى عام ١٨٥٥ ودام حصارها ٣٣٠ يوماً ثم اخذت عنوة ·

ثالثاً القارص حاصر فيها المتحالفون المذكورون الروس عام ١٨٥٤ ودام حصارها ١٦٢ يوماً ثم سلمت بشروط ·

رابعاً لوكنو الهند · حوصرت عام ١٨٥٧ ودام حصارها ٨٧ يوماً ثم فك الحصار ·

خامساً باريس حاصر فيها الالمان الفرنساويين عام ١٨٧٠ ودام حصارها ١٢٩ يوماً ثم سلمت بشروط ·

سادساً بلافنا حاصر فيها الروس العثمانيين عام ١٨٧٧ ودام حصارها ١٤٤ يوماً ثم سلمت بشروط ·

سابعاً لاديسميث الترنسفال · حاصر فيها الانكليز البوير عام ١٨٩٩ ودام حصارها ١٢٠ يوماً ثم فك الحصار ·

ثامناً كمبرلي الترنسفال · حاصر فيها الانكليز البوير عام ١٨٩٩ ودام حصارها ١٢٠ يوماً وفك الحصار ·

تاسعاً مفكنغ الترنسفال · حاصر الانكليز فيها البوير عام ١٨٩٩

ودام حصارها ٢١٤ يوماً وفك الحصار ·

عاشراً بور ارثور حاصر فيها اليابانيون الروس عام ١٩٠٤ ودام حصارها ٢١٠ ايام ثم سلمت بشروط ·

حادي عشر ادرنه حاصر فيها البلغاريون العثمانيين عام ١٩١٢ ودام حصارها ١٥٥ يوماً واخذت عنوة ·

ثاني عشر ترواده وهي من التاريخ القديم دام حصارها عشر سنين

كيف سقطت ادرنة

لاندري باي مادة نكتب الخبر ابدموع العيون المرفرفة على ذلك المعقل المنيع ام بدماء حماته التي اريقت في سبيل الوطن ام بلهيب النار التي اضرمت في قلبها قبل تسليمها؟ على كل ان سقوط ادرنه خسارة لاتعوض وجرح لايشفى والم لا دواء له · وها نحن نبسط كيفية سقوطها العظيم ·

ان سقوط يانيا اثار عاطفة الحماسة في البلغاريين والصربيين المحاصرين ادرنة فعقدوا اوامر الحزم على دك معاقلها مها كلفهم الاستيلاء عليها لئلا يقال ان اليونانيين رجال حصار اما البلغاريون فليسوا الا رجال هجوم فقط فهجموا على المدينة واستولوا على حصن ايواس طابيه الذي بسقوطه الهائل سلم ادرنه ذاتها الى البلغاريين اذ كان درعها الحصين وترسها المنيع فجمع القائدان ايفانوف وفاسوف امام هذا الحصن خمسة وعشرين الف جندي وامراهم بالهجوم عليهِ وفي الوقت عينه اركزوا بطاريتين عظيمتين تتألف كل واحدة منها من ٤٠ مدفعاً ضخماً واصلياه من الجهة الثانية ناراً حامية وامرا بقية الجنود المؤلفة من ٧٥ الف جندي بهجوم عام على كل جهات المدينة بحيث ان شكري باشا لم يعد يدري اين جمع العدو قوتهُ الكبرى اما المشاة البلغاريون فهجموا على خط السكة الحديدية و بعد ان

اندحروا دفعتين متواليتين استولوا عليه بعد خسارة عظمى فارسل حالاً شكري باشا نبأه برقياً الى الاستانة يقول به ان ادرنه لم يعد باستطاعتها المقاومة وان الاولى به ان يسلم ويخرج من المدينة بشرفه العسكري مع بقية الجنود من ان يسلم ذاته للاعداء فاجابه الصدر الاعظم محمود شوكت باشا ان قاوم حتى النهاية .

فبعد ان استنفذ شكري باشا جميع وسائل الدفاع و بعد ان فعل كل ما يمكن للبشر فعله تمسك بكلمته العسكرية و بشرف وعده بالا يسلم ادرنه وحصونها وفيها مدفع يلعلع ثم هز سلاحه في وجه عدوه والقى النظرة الاخيرة عَلَى الحامية وعلى الوطن وامر الجيش بالهجوم العام . فسقط في هذه الهجمة التي لم يسطر التاريخ لها مثيلاً القلاع وعدد عظيم من العدو والحامية .

وفي ٢٧ اذار اطلق الصربيون امامهم في الهجوم عَلَى المدينة قطيعاً من المواشي تفادياً من انفجار الالغام ولبس الجنود الدروع الفضفاضة ليقطعوا الاسلاك الحديدية الشائكة التي تطوق القلاع وهذه محفورة في الصخور عَلَى علو ٤٠ قدماً وقد استولى عليها المحاربون برؤوس الحراب . ولدى الهجوم العام حصدت مدافع العثمانيين توابير عديدة من الجنود البلغارية قبل ان تصل الى مواقف الجنود العثمانية ولما وصل البلغاريون الى تلك المواقف صوبوا عَلَى العثمانيين مدافعهم عينها وكانت نتيجة ذلك مذبحة هائلة ضاعف في هولها انفجار مخازن البارود وقد ابدي السربيون الذين هجموا على الجهة الشمالية الغربية بسالة عظيمة وفي اثناء الهجوم فرقتان بلغاريتان وصربيتان عن بكرة ابيهما . وللحال اتت الاخبار الى صوفيا بقرب وقوع المدينة فسافر حالاً اليها فرديناند وانجاله والملحقون العسكريون وكان اول من دخل المدينة الفرقة العشرون الصربية ثم لحقت بها الفرسان الصربية والبلغارية اما شكري باشا فانهُ بقي مصراً عَلَى المقاومة

رغم سقوط القلاع الشرقية اعتماداً عَلَى القلاع الغربية والشمالية لكن الصربيين استولوا عليها في الوقت ذاتهِ بروُوس الحراب لذا طلب شكري باشا ان يسلم للقائد السربي لكن هذا القائد رفض ما عرضهُ عليهِ بحجة انهُ ليس القائد العام واحتل القلاع الشمالية الى الغرب وتقدمت فرقة الطونه الى قره اغاج فسلمت لها الجنود العثمانية ولما سقط حصن اديرليك حيث كان شكري باشا يناضل كالاسد سلم سيفهُ واخذ اسيراً غير ان الملك فرديناند رده اليهِ متبسماً اقراراً له بشجاعتهُ وبسالتهِ ونحن ندون في هذا التاريخ اسم شكري باشا باحرف ذهبية لانهُ ابدى حقيقةً من المهارة ما تخرّ لعزمهِ المصاعب سجداً ولو ساعدتهُ الاقدار والذخائر لبقي البلغاريون والصربيون يحرقون الارَّم على الحصول على ادرنه ولم يسلم الا لما شعر انهُ لم يبقَ لديه ما يقاوم بهِ · وقد تلقى بطل ادرنه دروسه الحربية في مدرسة بريطانيا الحربية الافرنسية في باريس وبعد اضطهاد عبد الحميد له ارسله الى غاليبولي ثم عين قبل اشهار الحرب بشهر قائداً عاماً عَلَى ادرنه وكان الله ارسله الى هناك ليعترف له اعداؤه بالشجاعة والبسالة ويسترجع بدفاعه المجيد ما فقده من الاضطهاد في ايام عبد الحميد ·

وقدا سر البلغاريون في ادرنه ٥١ الفاً من الجنود و ٥٤٠ الف بندقية و ٦٠٠ مدفع وشكري باشا واثني عشر من اركان حربهِ بينهم سبعة باشاوات وخسر البلغاريون ١٥ الفاً والسربيون ١٣٠٠ بين قتيل وجريح وفي ٢٩ اذار وصل شكري باشا الى صوفيا مع اركان حربهِ وكان في انتظارهم جم غفير بينهم عدد من النواب مع رئيس مجلس النواب السابق المسيو زغوريف وقومندان صوفيا العسكري وحيى موظفو السكة الحديدية شكرى باشا باللغة الفرنساوية بما يلي : « مرحباً بك فالعالم اجمع معجب بما احرزتهُ من النصر وبما وقع عليك من الغلبة وبلغاريا تقدم من صميم الفؤاد الاحترام الرفيع المقام الى بطل ادرنه · ولك ان تثق تمام الثقة

بحسن شعورنا نحوك واعجابنا بك ٠ »

فاثر هذا الكلام في قلب شكري باشا وقال انه ممتلىء بالعواطف ذاتها ويشعر باحترام فائق لشجاعة الجندي البلغاري ٠ ثم ركب مع اركان حربه السيارات الى نزل سبلنديد بالاس حيث اعدت لهم محلات مفروشة بالاثاث الفاخر وحاوية كل اسباب الراحة والرفاه فاسدى شكري باشا شكره القلبي الى القومندان العسكري وقال انهُ لا ينتظر حتى في الاستانة معاملة احسن من هذه ٠ ونقل باور باشا بطلب من شكري باشا الى النزل عينه وكانت مقابلة القائدين مؤثرة جداً ٠

فيضيف اذاً سقوط ادرنه اسماً آخر الى قائمة الحصارات العظمى ٠ واذا كانت اسماء لولو برغاس وقرق كليسه ستنسى من بين ميادين القتال في هذه الحرب فان ادرنه ستحيا مع ستراسبورج وسباستبول و بور ارثور و باريس و بلافنا كتذكار لدفاع مجيد لم يلبث ان قهر في الزمن الاخير ٠

وقد وقع خبر سقوطها في العثمانية كوقوع الصاعقة واما في روسيا فهاج خمسون الفا من الروسيين في بطرسبرج وحملوا احد الزعماء البلغار بين في مجلس الدوما على اكتافهم وشمل الفرح جميع السلافيين

الفصل السادس

اوروبا والجبل الاسود

في اصطلاح الدول انها عندما تريد من دولة او من شعب انفاذ امرها مراعاة لجانب الحق او المصلحة العامة و تشعر بان المطلوب منهُ ذلك الانفاذ يتردد فيهِ تعمد في تأييد بلاغها الى ارسال اساطيلها قصد التهويل والاشعار بانها مستعدة لاستعمال القوة اذا لم يعمل بمقتضى ارائها ٠

وقد اجمعت دول اوروبا ان تظل مدينة اشقودره لالبانياوان استمرار الجبل الاسود والسرب على حصارها ضرب من العبث فاقترحت النمسا ان يعضد اجراء هذا القرار بمظاهرة بحرية تقوم بها بوارج الدول . وتفاوض رجالها في ذلك لكي لا يمكنوا الجبليين من الاستيلاء على هذه المدينة والاراضي اللاحقة بها . وكانت تلك المظاهرة الثانية لبوارج الدول في البحر الادرياتيك ولكنها ضد الاولى التي اجرتها الدول في آب سنة ١٨٨٠ اذ قررت في مؤتمر برلين الحاق فرضة دولسينو وما يليها باراضي الجبل الاسود فتمرد الالبان وترددت الدولة فاقترحت الوزارة الانكليزية اجراء مظاهرة بحرية دولية علينا او على الالبان اشتركت فيها انكلترا وروسيا وفرنسا وايطاليا بامرة الاميرال سيمور الانكليزي فاصدرت الاساطيل بلاغاً اخيراً تهددت فيه بضرب دولسينو وما جاورها او تسلم للجبل فسلمت في تشرين الثاني .

وفي ١ نيسان قرّ قرار الدول بناء على ضم اشقودره لالبانية ان تقوم بمظاهرة حربية ضد الجبل الاسود وان تحصر موانيه من دولسينو الى انتيفاري ومهمتها ان تمنع عنهُ كل مساعدة من جهة البحر والقوت والمؤن والذخائر فهي اذن مظاهرة سلمية . واختلفت الدول بادئ بدء في ذلك لكنها عادت فاتفقت ان تجري جميعها هذه المظاهرة حرصاً على السلم العام لان النمسا لا تقبل باي وجه كان ضم اشقودره للجبل الاسود واذا فعل فهي ستخترق الحياد وتستولي على نوفي بازار ولا يسع آنئذٍ روسيا الا مساعدة الجبل الاسود فتنشب الحرب الاوروبية الطاحنة . اما روسيا فقررت ان تنوب عنها في هذه المهمة كل من فرنسا وانكلترا اولاً لانهُ ليس لديها بوارج حربية في البحر المتوسط ثانياً خشيةً من اثارة الرأي العام السلافي في روسيا .

فاجتمعت النمسا وايطاليا والمانيا وانكلترا وفرنسا في البحر الادرياتيك

واعلنوا حصار الجبل الاسود على خط طوله خمسون كيلو متراً من دولسينو الى انتيفاري حصاراً سلمياً في ١٠ نيسان و بهذه الطريقة ارضت الدول النمسا باقامة المظاهرة وارضت روسيا ودول الاتفاق الثلاثي بجعلها سلمية وابلغ في ٢ نيسان الاميرال الانكليزي قرار الدول الرسمي الى الجبل الاسود فاجاب الملك نيقولا «انه يود خسران عرشهِ وضم بلاده الى الصرب من ان يتنازل عن اشقودره» وزاد عليها حصاراً غير انه خسر معهم في الموقعة الاخيرة ثلاثة الآف جندي ورأى عجزه عن اخذها وشدة الدول وحزمها وعدم نجاح سياسته التهديدية فمال الى التعويض المالي والاراضي الذي عرضته عليهِ الدول لقاء تنازله عن اشقودره ويعرضون عليهُ قرضاً قدره ٢٠ مليون فرنك مضمون من جميع الدول الكبرى التي اقامت هذه المظاهرة مع اعطائهِ ارضاً كبيرة واقعة جانب اشقودره ولربما يجففون له البحيرة و يستعملها للزرع نظراً لقحط اراضيه الصخرية ٠

مذكرة الدول والجواب عليها

لم تكن خطة البلغاريين الحربية مهاجمة ادرنه كما بينا ذلك في محل اخر لكن حصرها لمنع حاميتها من قطع خط الرجعة عليهم ٠ و لما حدث الانقلاب الاخير في الاستانة ورأت بلغارية ان لا صلح ولا سلام اذا لم تستولي على ادرنه عقدت النيه على اخذها لتسهل عليها قرب وقوع الصلح ٠ وقد استغنم موتمر السفراء في لندرا هذه الفرصة فبعث الى كل من الدولة العلية والحلفاء مذكرة يدعوها بهِ الى عقد الصلح في اقرب آن ويعين لها شروطه ٠ فاجاب الباب العالي في ١ نيسان انهُ يقبل شروط الدول اساساً للمفاوضات ٠ وهاك مذكرة الدول :

نحن سفراء النمسا وانكلترا وفرنسا وروسيا والمانيا وايطاليا نتشرف بان نخبر حكومتكم التي قبلت التوسط بان الدول العظمى قد اتفقت عَلَى عرض شروط الصلح الاساسية الاتية عَلَى المتحاربين :

اولاً تكون الحدود العثمانية الاوروبية خطاً مستقيماً يمتد من اينوس الى ميديا ويعطى المتحالفون البلقانيون جميع الاراضي الواقعة غربي هذا الخط ما عدا القطعة الالبانية التي تنظر الدول العظمى في تحديدها وطرز ادارتها ·

ثانياً يقبل تحكيم الدول في حل مسألة جزر الارخبيل ·

ثالثاً تتنازل الدولة العثمانية عن كل حقوقها في كريت ·

رابعاً لاتميل الدول العظمى الى التسليم بطلب غرامة حربية وتقبل حضور مندوبي الدول المتحاربة مفاوضة المؤتمر الدولي الذي يعقد في باريز لتسوية حصص المتحالفين من الديون العمومية التي تصيب الاراضي المحتلة

خامساً يجب ترك الحرب والمنازعات حين قبول هذه الشروط اساساً لعقد الصلح ·

ديجيرس	بومبار	لوثر
روسيا	فرنسا	انكلترا
بالاتشيني	غاروني	ولكتهام
النمسا	ايطاليا	المانيا

اما البلقانيون فلم يقبلوا هذه الشروط بل عدلوها واشترطوا فيها لقبول الصلح وايقاف رحى الحرب الشروط الاتية :

اولاً يسلم الباب العالي والدول بقبول دفع الغرامة الحربية ·

ثانياً يكون خط الحدود من ميديا الى اينوس قابلاً للتعديل حسب طبيعة الارض والجامعة العسكرية ·

ثالثاً تبين الدول للحلفاء حدود البانيا ·

رابعاً يسلم الباب العالي والدول بان تعطى الجزر للحلفاء .

اما الدول فرأت غلواً في هذه المطاليب فردت عليهم قائلة :

اولاً ان الدول تقبل بان يكون الخط المستقيم من اينوس الى ميديا قاعدة المفاوضات لتعيين الحد الفاصل وهي مستعدة لان تتجاوز قليلاً نحو الجنوب الشرقي الخط المستقيم من اينوس الى ميديا غير انها لا تريد ان تتخطاه عند بحر ايجه .

ثانياً ان الدول تحتفظ لنفسها بحل هذه المسألة والمفهوم ان الجزر الاربع القريبة من الدردنيل تظل عثمانية وترد ايطاليا الجزر التي احتلتها وتعطى لليونان بقية الجزر وينظر في امر صاقس ومدلي .

ثالثاً لا تتأخر الدول عن اعلام الحلفاء بالحدود التي عينتها لالبانيا من جهتي الشرق والشمال اما الحدود الجنوبية فسيعلم بها الحلفاء عندما تتفق الدول على تعيينها .

رابعاً ستحل مسألة الغرامة الحربية اللجنة الدولية التي ستلتئم في باريز وتعينها بذاتها .

فيتبين مما تقدم ان الصلح قريب لان كل الصعوبات التي كانت تحول دونهُ قد تذللت وقد عينت الحكومات البلقانية رؤساء مندوبيها الذين يشتركون في مفاوضات اللجنة الدولية فعينت بلغاريا المسيو تيودوروف وزير المالية والصرب المسيو ماليكوفيتش الذي وصل الى باريس واليونان المسيو بوليتيس الاستاذ في مدرسة الحقوق الافرنسية ويقول انهُ يسهل لديه ان يبين وجوب دفع غرامة وامكان الحكومة العثمانية من دفعها والدولة العثمانية نائيل بك وستلتئم هذه اللجنة في باريس في ١٩ حزيران ويصرح الحلفاء اذ لم تتلهم هذه اللجنة مطاليبهم فيتمنعون عن توقيف الحركات العسكرية . وقد قبل الحلفاء شروط الدول لعقد الصلح كما قبلتها ايضاً الدولة العثمانية لذا اضحى من العبث تجريد

السلاح فعقدت الدولة العثمانية مع بلغاريا هدنة ابتداؤها من ١٣ نيسان حتى ٢٣ منهُ ويمتنع بها الجيشان عن المناوشة في جهتي شاطلجه وبولاير واذا لم تسفر مذاكرات الصلح عن نتيجة فتمد الهدنة الى ما بعد المذاكرة وستعين منطقة حرة بين الجيشين بواسطة قوميسيون مؤلف منهما واذا اعيدت المناوشات فينبغي للطرفين اخبار بعضهما قبل ٤٨ ساعة ٠ ومساء يوم انتهاء الهدنة تكون الساعة السابعة بدء استئناف المناوشات ولا يمانع الاسطول العثماني اثناء الهدنة من ادخال الذخائر الى الجيش البلغاري من جهة خليج معارضٍ ولقد تقررت هذه الشروط شفاهياً بين المتحاربين عَلَى سبيل التعميم ٠

اشقودره وسقوطها

تقع مدينة اشقودره في سفح اكمة قامت عليها القلعة القديمة ولم يكن فيها منذ مائة وخمسين سنة سوى قلعة واحدة مدافعها قديمة ولم يكن فيها من الاستحكامات ما يقوى عَلَى مقاومة المدافع الحديثة ٠ واخيراً بني فيها قلعة طرابوش عَلَى الطريقة الالمانية الحديثة وهذه القلعة قائمة عَلَى اعلَى قمة في سلسلة الجبال الممتدة من بحيرة اشقودره الى الادرياتيك ٠ حينما حل السلافيون في شبه جزيرة البلقان اخذت دولة الرومان بالانحطاط حتى تلاشوا من جميع انحاء شبه الجزيرة ولم يبقَ منهم الا الفلاحون الفقراء جدود سكان البانيا اليوم ٠

وقد كانت قبل المسيح عاصمة اقطاعة ايليريا وظلت كذلك مدة ستمائة سنة ثم بعد مائتين وخمسين سنة تغلب عليها اسكندر ذو القرنين وبعد مائة سنة قامت ملوك ايليريا في وجه الرومان ولكنهم ارتدوا خاسرين ومع ذلك لم يستولِ الرومان على اشقودره حتى سنة ١٦٨ قبل المسيح وفي عام ٣٩٥ بعد المسيح تولى عليها ملوك الشرقيون وعام ٤٩٦ استولى عليها

الغوت وكان السلافيون وقتئذٍ في طور الانتقال من الهمجية الى الرقي فاسترجعوا عام ٦٢٠ ايليريا ودلماسيا لكنهم عجزوا عن استرجاع اشقودره التي خضعت مدة خمسمائة سنة لحكم ملوك وطنيين ·

وفي عام ٦٥٠ احتلها السربيون ودامت حكومتهم فيها سبعمائة سنة ثم استولى عليها الملك صموئيل البلغاري ولما ضعفت شوكة البلغار دخلت في حكم البيزانطيين وكان يتعاقب عليها احيانًا حكام وطنيون وظلت هكذا حتى عام ١٨٣١ حيث هزم رشيد مصطفى باشا جيوشهم ورفع عليها اللواء العثماني ·

ولما نشبت الحرب البلقانية اظفارها وسقطت يانيا وادرنه توقع سقوط اشقودره الحلقة الثالثة من سلسلة مشاكل هذه الحرب المشومة وقد كلفت الجبل الاسود دماء رجاله وخزائن امواله وحصار اكثر من ستة اشهر اي منذ اخر تشرين الاول سنة ١٩١٢ حتى ٢٤ نيسان وقررت اوروبا اعطاء اشقودره الى البانيا فلا يقوى احد بعد على تحويلها عن عزمها وقد فهمت السرب ذلك الامر فانسحبت من امام المدينة و بقي الجبليون يقاسون وحدهم عرق القربة ومضض العيش رغمًا عن قرار اوروبا وارشاداتها ولما اعياهم الامر عقد الملك نيقولا الاول معاهدة يسلم بموجبها اسعد باشا المدينة الى الجبليين وينسحب برجاله البالغين ٤٥٨ ضابطًا و٢٦ الف نظامي وخمسة الاف باش بوزق و ٨٢ مدفعًا الى البانيا فيعلن ذاته فيها ملكاً وفي ٢٤ نيسان هجم الجبليون عَلَى المدينة فاوهموا اوروبا انهم استولوا عليها بالقوة · وللحال ادت لهم العساكر الجبلية السلام الحربي وخرجوا من اشقودره الى البانيا حيث توج اسعد باشا نفسهُ ملكاً عليها في السيو · واسعد باشا رجل عريق في الحسب والنسب يتصل بعائلة (توبطان) الالبانية وقد كان في اول حصار المدينة متوليًا الرئاسة الثانية لكنهُ بعد مقتل حسن رضا باشا السري اخذ القيادة الاولى والمدافعة عن المدينة

فدخلها الجبليون جذلين فرحين واقيمت الاعياد في ستنجه احتفالاً بافتتاح اشقودره بيد ان النمسا قامت قومة رجل واحد واعلنت انه اذا لم تلحق اوروبا فعلاً اشقودره بالبانيا فهي ستعمل منفردة وتشهر الحرب على الجبل الاسود مدعية ان معظم سكان اشقودره البانيون وسيكونون حجر عثرة في سبيل توطيد الامن في تلك الارجاء فرد عليها الجبل الاسود بمذكرة قدمها الى الدول ان اشقودره ومقاطعة (زتيا) السفلى كانت دائماً تحت حكم السرب وعاصمة لملوكهم وانها ضرورية لنشر زراعته ونمو مدنيته وتجارته وانه اذا ابت النمسا وعاندت في استيلائه نهائياً عَلَى المدينة فسيتنازل عن العرش و يضم مملكته الى السرب فتحصل عَلَى شواطئ عديدة في البحر الادرياتيكي ·

فلم تقبل الدول اعتراضه بل ابدت رأيها الاول ومع ذلك عقدت النية على التروي في جميع اعمالها خشية حرب اوروبية طاحنة فان ضم اشقودره لالبانيا ارضاء للنمسا امرٌ لابدَّ منه وكذلك اعطاء تعويض مالي وارضي للجبل الاسود والتوفيق بين دول التحالف البلقاني وعهد بهذه المهمة الخطيرة الى وزارات بطرسبرج ولندن وباريس ·

وبعد اخذ ورد عظيمين قرر الجبل الاسود ان يترك اشقودره ويضعها بين ايدي الدول الاوروبية واعلن معتمده في لندره امام مجلس السفراء المسيو بوبوفيتش انه يطلب بشدة تعويضات فعلية لقاء تنازله عنها · فتحركت اذ ذاك مطامع النمسا وايطاليا بمداخلتهما في شؤون البانيا واقسامها فتجعل المنطقة الجنوبية تحت نفوذ ايطاليا والشمالية تحت نفوذ النمسا · واعلن السفراء باتفاق الاصوات ان ترسل اوروبا جيشاً من قبلها يحتل المدينة مؤلفاً من الحملة الاوروبية الراسية في مياه انتيفاري التي سترجع بعدئذٍ اشقودره الى البانيا واعلن السير ادوار غراي ان البانيا المولودة من ارادة الدول تنتظر كيفية تشكيل نظامها وادارتها بارادة هؤلاء ايضاً :

الفصل السابع

الصلح

لم يحمل جيش السرور حملة عَلَى حصون الاخبار في ميدان القرطاس اشد من الحملة التي قام بحقها القلم عند ما خط بسواد المداد بياض اخبار تبلج فجر الصلح في افق طالما تكدرت اذاننا بارتفاع غطيط الشر من حفر ظلامه المدلهم وارتفع في ارجائه عمود دخان المصائب القاتم . وكيف لا نبشر بعد تلك الاهوال العالم قاطبة بما صبا الى وصول بشراه منذ خدشت ايادي الشرور ناعم وجنة الراحة والسلام .

في ٣٠ ايار اجتمع مندوبو الدول المتحاربة في لندرا ووقعوا عَلَى مقدمات الصلح التي وضعها مؤتمر السفراء حسماً للحرب التي شبت نارها منذ تشرين الاول عام ١٩١٢ وهذه بنودها :

عزم جلالة السلطان فريق اول وكل من اصحاب الجلالة ملك اليونان والبلغار والصرب والجبل الاسود فريق ثان عَلَى ابرام عهدة الصلح رغبة منهم في حسم الحرب الحاضرة واعادة صلات الولاء والوئام بين حكوماتهم ورعاياهم وقد عينوا مندوبين من قبلهم . وهولاء بعد ان ثبتوا صحة وكالتهم اتفقوا عَلَى ما يأتي :

البند الاول يتقرر الصلح والولاء منذ تبادل المصادقة على هذه العهد بين جلالة السلطان فريق اول وكل من اصحاب الجلالة ملوك الحلفاء فريق ثانٍ وبين ولاة عهدهم ومن يخلفهم و بين حكوماتهم ورعاياهم .

البند الثاني يخلي جلالة السلطان لملوك الحكومات المتحالفة عن الاراضي الواقعة في قارة اوروبا غربي الخط الممتد من اينوس على بحر ايجه حتى

ميديا على البحر الاسود ماعدا البانيا • وسيعهد بوضع هذا الخط من اينوس الى ميديا الى مفوض يعينونه •

البند الثالث يعهد جلالة السلطان وكل من اصحاب الجلالة ملوك الحكومات المتحالفة الى كل من اصحاب الجلالة امبراطور المانيا وامبراطور النمسا وملك المجر ورئيس الجمهورية الفرنساوية وملك بريطانيا العظمى وملك ايطاليا وامبراطور روسيا حل مشكلة الحدود الالبانية وسائر المشاكل المتعلقة بالبانيا

البند الرابع يتخلى جلالة السلطان لاصحاب الجلالة ملوك الحكومات المتحالفة عن جزيرة كريت وعن كل ماله من حقوق السيادة وغيرها في تلك الجزيرة

البند الخامس يعهد جلالة السلطان وكل من اصحاب الجلالة ملوك الحكومات المتحالفة الى كل من اصحاب الجلالة امبراطور المانيا وامبراطور النمسا وملك المجر ورئيس الجمهورية الفرنسوية وملك بريطانيا العظمى وارلندا وامبراطور الهند وملك ايطاليا وامبراطور روسيا تقرير ما يرتاؤن في مصير جميع الجزر العثمانية في بحر ايجه (ما عدا جزيرة كريت) وشبه جزيرة جبل اتوس •

البند السادس يعهد جلالة السلطان وكل من اصحاب الجلالة ملوك الحكومات المتحالفة الى المفوض الدولي المالي الذي يلتئم في باريس والذي وجهوا اليه مندوبيهم تسوية المشاكل المالية الناجمة عن الحرب المختتمة وعن الاراضي المذكورة التي تخلى عنها جلالة السلطان •

البند السابع ان المشاكل المختصة باسرى الحرب وبمناطق السلطة والجنسيات والتجارة تفض بمعاهدات تعقد خاصة لهذا الشأن •

وبعد معاندة قليلة من بعض المندوبين وقع الجميع وهكذا حسمت هذه الحرب المشؤمة •

وفي ٦ حزيران افتتح موتمر باريس المالي برئاسة المسيو بيشون وزير خارجية فرنسا اما الجلسات الاخرى فسيرأسها مارجري من موظفي تلك النظارة · وتمثل في هذا الموتمر احدى عشرة دولة اما بواسطة مستشاري سفاراتها في باريس او مندوبين تعينهم خصوصاً لهذا الغرض · وقد اعد المسيو بيشون بياناً لاعمال هذا الموتمر ويتضمن اربعة بنود وهي :

اولاً نصيب ممالك البلقان المتحالفة من الدين العمومي العثماني ·

ثانياً حلول ممالك البلقان المتحالفة محل الحكومة العثمانية في ما تكفلت بهِ لاصحاب الاعمال والامتيازات في الولايات التي استولى الحلفاء عليها وحقوقها في هذه الاعمال والامتيازات ·

ثالثاً مطالب الممالك المتحالفة الناجمة عن الاضرار والخسائر التي لحقت بها من جراء الحرب (الغرامة الحربية)

رابعاً تبادل الاسرى وما انفق في سبيلها وفي سائر الامور المحاكية له من الاموال ·

وسيعين حد فاصل بين الابحاث المالية التي تدور في باريس والابحاث السياسية التي تدور في لندرا ولكن قد يتجاوز كل موتمر من الاثنين الدائرة المعينة له · وستلغى معاهدة برلين وتقوم مقامها معاهدة باريس هذه

ضحايا الحروب

لو افتكر السياسيون بنتائج الحروب · اللهم بعين مجردة عن الغايات والمآرب لفضلوا السلام عليها ولكن هناك عاطفة بشرية تأبى الصدوع باوامر الانسانية والعواطف الاخوية . وهناك مجد باطل تريد كل دولة الحصول عليهِ او تأخير عدوتها ليخلو لها الجو في ميدان التقدم والتجارة والفلاح · والحرب مهما كثر اخصامها لابد لها من الحدوث ما دامت

الدول دولاً والانسان انساناً · ونحن نضع امام اعين قراء تاريخنا ضحايا بعض الحروب عبرة للمعتبرين مع ضحايا الحرب البلقانية :

لقد كلفت حرب القريم سنة ١٨٥٤ خمسماية مليون فرنك وحرب استقلال ايطاليا ملياراً وخمسماية مليون فرنك وحرب الدانمارك مع بروسيا مائة وثمانين مليون فرنك وحرب اميركا الشمالية ثلاثة وعشرين ملياراً وخمسمائة مليون فرنك وحرب اميركا الجنوبية احد عشر ملياراً وخمسمائة مليون فرنك وحرب النمسا وبروسيا سنة ١٨٦٦ ملياراً وخمسمائة مليون فرنك والحروب البعيدة والاستعمارية ملياراً وخمسين مليون فرنك وحرب المانيا وفرنسا سنة ١٨٧٠ سبعة مليارات وثمانمائة واربعين مليون فرنك (مع الغرامة الحربية) وحرب روسيا والدولة العثمانية سنة ١٨٧٧ مليارين وستمائة مليون فرنك وحرب روسيا واليابان ملياراً وتسعمائة مليون فرنك فيكون المجموع تسعة وخمسين ملياراً وستمائة واربعين مليون فرنك · وذلك من سنة ١٨٥٤ الى عام ١٩٠٤

واذا اضفنا الى الخسائر المالية خسائر الرجال يرى الانسان ما ترتعد له الفرائص خوفاً وتهلع له الافئدة تأسفاً ·

خسرت اوروبا من سنة ١٧٨٧ الى سنة ١٨١٥ خمسين مليوناً وثلاثمائة وخمسين الف مقاتل اي منذ ابتداء الثورة الافرنسية الى ما بعد سقوط نبوليون الاول · ومن سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٥٤ مليونين وسبعمائة واثنين وستين الف مقاتل بيد انهُ كلما اقتربنا من السنين الاخيرة التي يدعونها الاعصر المتمدنة تزداد خسارة المقاتلين ·

في سنة ١٨٥٤ خسرت اوروبا في حرب القريم سبعمائة وثمانين الف وتسعمائة واحد وتسعين مقاتلاً

وفي حرب ايطاليا خمسة واربعين الف مقاتل

وفي حرب بروسيا والدانمرك ثلاثة الاف وخمسمائة مقاتل

وفي حرب اميركا الشمالية مئتين واحد وثمانين الف مقاتل
وفي حرب اميركا الجنوبية خمسمائة وتسعة عشر الف مقاتل
وفي حرب بروسيا والنمسا خمسة واربعين الف مقاتل
وفي الحروب الاستعمارية والبعيدة خمسة وستين الف مقاتل
وفي الحرب السبعينية خمسمائة وثلاثين الف مقاتل
وفي حرب الدولة العثمانية مع روسيا ثلاثمائة الف مقاتل
وفي حرب روسيا واليابان اربعمائة وتسعة وسبعين الف وتسعمائة مقاتل

فيكون مجموع القتلى من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٩٠٤ ستة وخمسين مليوناً ومائتين وثلاثة الاف وخمسمائة وواحد وتسعين مقاتلاً وخسرت

بلغاريا في الحرب هذه	٨٥	الف مقاتل
وخسرت السرب في الحرب هذه	٣٠	« «
« اليونان « « «	٢٠	« «
« الجبل الاسود « « «	٠٩	« «
فيكون المجموع	١٤٤	مائة واربعة واربعين الف مقاتل

وخسرت الدولة العثمانية ثمانية وتسعين الف مقاتل . فيكون مجموع قتلى هذه الحرب مائتين وواحداً وخمسين الف مقاتل .

اما الاسرى فقد بلغ مجموعهم في الدول البلقانية المحالفة ثلاثين الف عسكرى واما في المملكة العثمانية فمائة وخمسين الف عسكري .

وبلغت نفقات الحرب في بلغاريا سبعمائة وخمسين مليون فرنك والسرب خمسمائة مليون فرنك واليونان ثلاثمائة وخمسة وسبعين مليون فرنك والجبل الاسود مائة مليون فرنك . اما الدولة العثمانية فبلغت نفقاتها ثمانمائة مليون فرنك . فيكون مجموع نفقات الحرب البلقانية مليارين وخمسمائة وخمسة وعشرين ميلون فرنك .

فلو مكثت هذه الشجعان المطروحة في ساحة الهيجاء تشتغل في استعمار وطنها وتقدمه ونجاحه ولو بذلت تلك الدراهم العديدة في درء الامراض الانسانية وفي تشجيع الاختراعات العائدة للصناعة والتجارة والزراعة والمعارف لكانت تقدمت اوروبا في معارج المدنية والفلاح اربعة اضعاف عما هي فيهِ الآن . فانظروا ايها الملوك والسياسيون الى ما تجنيه ايديكم وتبصروا في الضحايا التي قدمت على مذابح غاياتكم وارثوا دموع امهات واباء شجعانكم واسعوا وراء السلم ليسجل التاريخ اسمكم بين صفحات المدنية والعمران .

تاريخ
اهم المواقع والحوادث
في الحرب البلقانية

قد ينجم بعض اغلاط في تاريخنا سواء عن سهو او عن غلطة في الطبع لذا رأينا ان نضع لائحة في تاريخ اهم الحوادث والمعارك البلقانية فهي عليها الاعتماد .

في تشرين الاول سنة ١٩١٢

« ٧ اعلن الجبل الاسود الحرب على الدولة العثمانية

« ١٤ استولى الجبليون على طوزي

« ١٧ اعلنت الدولة العثمانية الحرب على بلغاريا والسرب وفي تاريخ اليوم عينه اعلنت اليونان الحرب على الدولة العثمانية .

في ١٨ استولى اليونان على الصونا والبلغاريون على مصطفى باشا .

« ٢١و٢٢ استولى اليونان على سارندا بيرون .

« ٢٣ استولى « « مرڤيا

في ٢٤ استولى البلغاريون على قرق كليسه وقسم ابتداء بمحاصرة ادرنه ومشى السربيون على كومنوڤو حيث دحروا الجنود العثمانية

في ٢٦ استولى السربيون على اسكوب

« ٢٩ ابتدأت معركة لولوبرغاس

« تشرين الثاني

« ٢ فاز البلغاريون فوزاً عظيماً في نهاية المعركة وتحصن العثمانيون في معاقل شاطلجه

في ٨ منهُ دخول اليونانيين الى سالونيك وفي التاريخ عينه اتجهت فرق بلغارية نحو هذه المدينة .

في ١١ جرى قتال عظيم دام ثلاثة ايام في شاطلجه

« ١٦و١٧و١٨ استولى السربيون على مناستير

« ٢٧ استولى « ديرازو . واعلن استقلال البانيا وقام الاسطول اليوناني بخدمات عديدة و بحركات ناجحة .

في ٣ كانون الاول امضى البلغاريون والسربيون والجبليون الهدنة مع الدولة .

في ١٦ منهُ ابتدأت مفاوضات الصلح في قصر سانت جيمس في لندرا

في ٢٤ منهُ الانقلاب العثماني السريع ومقتل ناظم باشا .

« ٢٧ تسليم جمعية الاتحاد والترقي مقاليد الامور السياسية وتشكيل الوزارة العثمانية برئاسة الصدر الاعظم محمود شوكت باشا .

في ٢٩ منهُ فشل مؤتمر لندرا

في ٣ شباط ليلاً رجوع الجيوش الى القتال في شاطلجه و بولاير . وضع كل ما في قوى العثمانيين لانزال العساكر من جهة بحر مرمرا والبحر الاسود وقطع خط الرجعة على المخالفين

وخاصة البلغار بين وفشلهم ٠

في ٦ اذار سقوط يانيا

« ١٥ » انعقاد الهدنة بين العثمانية و بلغاريا

« ٢١ » قبول المتحاربين مداخلة اوروبا التي وضعت اساس الصلح

« ٢٧ » سقوط ادرنه

في ٢٤ نيسان سقوط اشقودره

« ٣٠ » عقد الصلح في لندرا

في ٦ حزيران افتتاح المؤتمر الدولي المالي في باريس

« ١٢ » مشاغب الاستانة وقتل محمود شوكت باشا الصدر الاعظم وتولية البرنس حليم باشا

« ١٨ » افتتاح المؤتمر العربي الاصلاحي في باريس برئاسة السيد عبد الحميد الزهراوي

وبعد ان انتهت الحرب بين الدولة والبلقانيين قامت حرب اشد هولاً منها بين الحلفاء انفسهم منشئها الاثانية وحب الذات فجرت المعارك وقتل من المتحاربين عدد عظيم ٠

ولقد جرت مواقع بين هؤلاء الحلفاء لم يسمع بمثلها في حربهم مع الدولة حصدت فيها الرؤوس وملأت الجثث السهول والجبال ٠ فالسربيون واليونانيون يقاتلون البلغاريين وكل يدعي الانتصار على عدوه لذلك تجيء الانباء البرقية متناقضة ولكن ارجحية الانتصار لا تزال بجانب السربيين واليونانيين كما يستنتج من الاخبار المتناقضة والظاهر ان البلغار قد لانت وطلبت مداخلة روسيا ايقافاً للحرب لذلك اصبح اغماد السيوف منتظراً في العاجل القريب ٠

الخاتمة

كانت المملكة العثمانية قبل الحرب البلقانية مملكة اوروبية اسيوية وهذا المركز الجميل الذي وهبته اياها السياسة القديمة الاولية جعل للعثمانيين اهمية عظمى سياسةً واقتصاداً ٠

بيد انها خسرت في سنين قليلة اكثر ما كانت تملكه في اوروبا فاستقلت ولاياتها كاليونان والسرب والبلغار والجبل الاسود ورومانيا والبانيا وسبب ذلك الاهمال الذي طرق على بعض رجال ساستها وتمسكهم بالسلطة سواء نجحت البلاد ام تهدمت منها الاركان ولان معظم سكان تلك الولايات مؤلف من العناصر المخالفة للعثمانية ديناً ومشرباً واخلاقاً وجبلة ٠ فاخذت كل دولة تجمع شملها وتستقل بذاتها وساعدها على ذلك وجود العدد العظيم من عناصرها في ولايات مختلفة ٠ فالاتراك مثلاً في مقدونيا وتراقية والبانيا لا يبلغون ربع عدد السكان حتى ان في نفس الاستانة البالغة مليوناً يوجد بها ثلاثمائة وخمسين الف يوناني مما يجعل العاصمة ذاتها يوماً ما عرضةً لقلاقلهم ومشاغبهم وطمعهم ٠

اما الولايات الاسيوية فمعظمها اتراك او عرب تجمعهم جامعة العنصر او جامعة الدين ٠ لذا هم اخلد الى السكينة والسلام من سكان ولايات الروملي بيد انهُ يوجد بعض قبائل في بعض الانحاء لا تقوى الا على تجريد الحسام كما يحدث غالباً في جزيرة العرب او بين الاكراد ٠ وان وجد في سوريا وما بين النهرين عرب ساميون فالسواحل العثمانية وبرّ الاناضول الا ارمينيا لايزال يعج بالاتراك الحقيقيين وهو لا يزال مصدر قوتهم منذ كانت بروصه عاصمة ملكهم

تنبيه

وقعت اغلاط مطبعية او صدرت عن سهو وهي لا تخفى على نجابة القارىء الكريم فنلتمس من قراء تاريخنا عذراً والكريم من عذر

نسيب شهاب